المغني في التفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورةُ النَّبَأِ، سُورةُ النَّازِعاتِ، سُورةُ عَبَسَ، سُورةُ التَّكويرِ، سُورةُ الانفِطارِ،

سُورةُ المُطَفِّفينَ، سُورةُ الانشِقاقِ

(المجلَّدُ الثَّاني والأربعونَ)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ النَّبَأِ

سُورةُ النَّبَأِ

سُورةُ النَّبَأِ

سُمِّيَتْ هذه السُّورةُ بسُورةِ (النَّبَأ).[1]

سورةُ النَّبَأِ مَكِّيَّةٌ، نَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفَسِّرينَ.[2]

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

إثباتُ البَعثِ، وتهويلُه، وإنذارُ مُنكِريه.

---

(1) وَجهُ التَّسميةِ: سُمِّيَت بذلك؛ لافتتاحِها بلَفظِ النَّبَأِ في قَولِه تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/497).

قال ابنُ عاشور: (سُمِّيتْ هذه السُّورةُ في أكثرِ المصاحِفِ، وكُتُبِ التَّفسيرِ، وكُتُب السُّنَّةِ «سُورةَ النَّبَأ»؛ لِوُقوعِ كلمةِ النَّبَإِ في أوَّلِها).

((تفسير ابن عاشور)) (30/5).

وتُسمَّى أيضًا سورةَ عَمَّ وعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ؛ تسميةً لها بأوَّلِ جملةٍ فيها.

وتُسمَّى «سورةَ التَّساؤُلِ»؛ لوُقوعِ يَتَسَاءَلُونَ في أوَّلِها.

وتُسمَّى «سورةَ المُعْصِراتِ»؛ لقولِه تعالى فيها: وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا [النبأ: 14].

يُنظر: ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (1/196)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/5).

(2) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجوزيِّ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/394)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/387).

قال ابنُ عطية (٨/ ٥١٢): «وهي مكّيّة بإجماع».

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- سؤالُ المُشرِكِينَ عن القُرآنِ الَّذي جاء به محمَّدٌ - ﷺ - وما اشتَمَل عليه مِن التَّوحيدِ والبَعثِ إلى غيرِ ذلك، وتهديدُهم بسُوءِ المصيرِ إذا ما استمَرُّوا في طُغيانِهم وإنكارِهم لِما جاء به النَّبيُّ - ﷺ -.

2- إقامةُ الأدِلَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وعلى عظيمِ قُدرتِه، وإمكانِ حُصولِ البَعثِ.

3- ذِكرُ أحداثِ يومِ القيامةِ، ووَصْفُ أهوالِه.

4- بيانُ ما أعَدَّه اللهُ سُبحانَه للكافِرينَ مِن عذابٍ في جهنَّمَ.

5- بيانُ ما أعَدَّه اللهُ عزَّ وجلَّ للمُتَّقينَ مِن النَّعيمِ في الجنَّةِ.

6- تقريرُ أنَّ يومَ القيامةِ حَقٌّ لا رَيبَ فيه، وأنَّه يَنبغي تقديمُ العَمَلِ الصَّالِحِ مِن قَبلِ أن يأتِيَ هذا اليومُ.

7- الإنذارُ بعذابٍ قَريبٍ، وعَرْضُ الأعمالِ على العبادِ؛ خَيرِها وشَرِّها، وتمنِّي الكافِرِ في ذلك اليومِ أنْ لو كان تُرابًا.

سُورَةُ النَّبَأِ

الآيات (1–5)

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)

غريب الكلمات:

النَّبَإِ: أي: الخَبَرِ العظيمِ الشَّأنِ، والمرادُ به هنا القُرآنُ أو البَعْثُ، وأصلُ (نبأ): الإتيانُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، والخبرُ يَأْتِي مِن مكانٍ إلى مكانٍ.

تفسير الآيات:

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1).

أي: عن أيِّ شَيءٍ عَظيمٍ يَتساءَلُ مُشرِكو قُرَيشٍ؟[3]

عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2).

أي: يَتساءلونَ عن الخَبَرِ العَظيمِ، وهو ما اشتَمل عليه القرآنُ مِن التَّوحيدِ والبعثِ وغيرِ ذلك.

كما قال تعالى: قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ [ص: 67–68].

---

(3) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥١٢) في عَوْد الضمير في قوله: ﴿يتساءلون﴾ احتمالين: الأول: «أن يريد: جميع العالَم».
ووجّهه بقوله: «فيكون الاختلاف حينئذ يُراد به تصديق المؤمنين، وتكذيب الكافرين، ونزغات الملحدين».
الثاني: «أن يراد بالضمير: الكفار من قريش».
ووجّهه بقوله: «فيكون الاختلاف شكّ بعض وتكذيب بعض، وقولهم سحرٌ وكهانة وشِعر وجنون وغير ذلك».
وذكر ابنُ عطية (٨/ ٥١٢) إضافة إلى ما ورد في أقوال السلف في المراد بالنبأ العظيم قولًا آخر، فقال: «و﴿النبأ العظيم﴾ قال قوم: هو الشرع الذي جاء به محمد - ﷺ -».

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3).

أي: الَّذي اختلَف فيه أهلُ مَكَّةَ.

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4).

أي: ليس الأمرُ كما يَزعُمُ المكَذِّبونَ بالقُرآنِ والمُنكِرونَ للبَعْثِ وغيرِه ممَّا جاء به، وهم سيَعلَمونَ عِلْمَ اليَقينِ ما كَذَّبوا به، عندَ مَوتِهم ويومَ القيامةِ، وسيَعلَمونَ حَقًّا عاقِبةَ تَكذيبِهم.

كما قال تعالى: الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ [غافر: 70 – 72].

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5).

أي: ثمَّ ليس الأمرُ كما يَزْعُمونَ، فهم حَتْمًا سيَعْلَمونَ صِدْقَ القُرآنِ وما اشتمَل عليه، كوُقوعِ البَعْثِ الَّذي كَذَّبوا به، وسيَعْلَمونَ عاقِبةَ ذلك.

سُورةُ النَّبأ

الآيات (6–16)

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
(9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا
(12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا
وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)

غريب الكلمات:

مِهَادًا: أي: فِراشًا وبِساطًا، ومَكانًا مُمَهَّدًا مُوَطَّأً، وأصلُ (مهد): يدُلُّ على تَوطئةٍ وتَسهيلٍ للشَّيءِ.

أَوْتَادًا: جمعُ وَتِدٍ، والوَتِدُ: عُودٌ غَليظٌ، أسفَلُه أدَقُّ مِن أعلاه، يُدَقُّ في الأرضِ؛ لتُشَدَّ به أطنابُ الخيمةِ، وأصلُ (وتد): يدُلُّ على الثَّباتِ والرُّسوخِ.

سُبَاتًا: أي: راحةً لأبدانِكم؛ لانقِطاعِكم فيه عن الأعمالِ، وأصلُ (سبت): يدُلُّ على راحةٍ وسُكونٍ.

سِرَاجًا وَهَّاجًا: أي: شمسًا وَقَّادةً مُضِيئةً، والوَهَجُ: يَجمَعُ النُّورَ والحَرَّ، وأصلُ (سرج): يدُلُّ على الحُسْنِ والزِّينةِ والجَمالِ، ومِنْ ذلك السِّراجُ، سُمِّي بذلك لضِيائِه وحُسْنِه، وأصلُ (وهج): يدُلُّ على حَرٍّ وتوَقُّدٍ.

الْمُعْصِرَاتِ: أي: السَّحائِبِ الَّتي تَجيءُ بالمطَرِ، مأخوذٌ مِنَ العَصْرِ؛ لأنَّ السَّحابَ يَنعَصِرُ فيَخرُجُ منه الماءُ، وأصلُ (عصر): يدُلُّ على ضَغطِ شَيءٍ حتَّى يتحَلَّبَ.

ثَجَّاجًا: أي: سَيَّالًا مُنصَبًّا بشِدَّةٍ، والثَّجَّاجُ: الكثيرُ المنصَبُّ، وأصلُ (ثجج): يدُلُّ على صَبِّ شَيءٍ.

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا: أي: بَساتينَ مُلْتفَّةً بالنَّباتِ والشَّجَرِ، والأَلْفافُ: الشَّجَرُ يَلتَفُّ بَعْضُه ببَعضٍ، وأصلُ (جنن): السَّتْرُ والتَّغطيةُ، ومنه سُمِّي البُستانُ جَنَّةً؛ لأنَّه يستُرُ داخلَه بالأشجارِ، ويُغطِّيه، وأصلُ (لفف): يدُلُّ على تلَوِّي شَيءٍ على شَيءٍ.

تفسير الآيات:

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6).

أي: ألَمْ نجعَلِ الأرضَ فِراشًا للنَّاسِ، مُذَلَّلةً لهم، يَستَقِرُّونَ عليها، ويَنتَفِعونَ بها؟

كما قال تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا [البقرة: 22].

وقال سُبحانَه: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا [طه: 53].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ [الذاريات: 48].

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7).

أي: وجعَلْنا الجِبالَ مُثَبِّتةً للأرضِ، فلا تَضطَرِبُ بأَهْلِها.

كما قال تعالى: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ [النحل: 15].

وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8).

أي: وخَلَقْناكم ذُكُورا وإناثًا؛ لِيَحصُلَ التَّزاوُجُ بَيْنَكم، ويَخرُجَ النَّسْلُ منكم.

كما قال تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [الروم: 21].

وقال سُبحانَه: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [الذاريات: 49].

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9).

أي: وجَعَلْنا نومَكم قاطِعًا لحركتِكم، فتَحصُلُ به راحتُكم مِن تَعَبِ سَعْيِكم وأعمالِكم.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا [الفرقان: 47].

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10).

أي: وجَعَلْنا اللَّيلَ غِطاءً يَتغشَّاكم سَوادُه، وتُغطِّيكم ظُلْمَتُه، كما يُغطِّي الثَّوبُ البَدَنَ.(4)

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا [الفرقان: 47]

وقال عزَّ وجَلَّ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى [الليل: 1].

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11).

أي: وجَعَلْنا النَّهارَ وَقْتًا يَطلُبُ فيه النَّاسُ أرزاقَهم، ويَسعَونَ في مَصالِحِهم.

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا [الفرقان: 47].

---

(4) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥١٤) في قوله: ﴿لباسا﴾ قولًا، وانتقده مستندًا إلى اللغة، فقال: «ويقال: جعله لِباسًا لأنه يطمس نور الأبصار، ويُلبس عليها الأشياء، والتصريف يُضعّف هذا القول، لأنه كان يجب أن يكون: مُلبسًا، ولا يقال: لِباسًا؛ إلا من لبس الثياب».

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12).

أي: وبَنَينا فوقَكم سَبْعَ سَمَواتٍ في غايةِ القُوَّةِ والصَّلابةِ والإحكامِ.

كما قال الله تبارك وتعالى: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا [النازعات: 27-28].

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13).

أي: وجَعَلْنا شَمسًا مُضيئةً شَديدةَ التَّوَقُّدِ والإضاءةِ.

كما قال تعالى: وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا [نوح: 16].

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14).

أي: وأنزَلْنا مِن السَّحابِ المُثْقَلِ بالمياهِ ماءَ المطَرِ المُنصَبَّ على الأرضِ بتتابُعٍ وكَثْرةٍ.(5)

---

(5) اختُلف في المراد بالمُعصرات على أقوال: الأول: الرياح.
الثاني: السحاب.
الثالث: السماء.
وقد ذكر ابنُ عطية (٥/ ٤٢٤) قراءة تقوي القول الأول، فقال: «وقرأ ابن الزُّبير، وابن عباس، والفضـــل بن عباس، وقتادة، وعكرمة: (وأنزَلْنا بِالْمُعْصِرات)، فهذا يقوي أنه أراد الرياح».
ووجّه ابنُ عطية (٨/ ٥١٤ - ٥١٥) تفسير المعصرات بالسحاب بأنه: «مأخوذ من العَصر؛ لأنّ السحاب يَنعصر فيخرج منه الماء، وهذا قول الجمهور، وبه فسّر الحسن بن محمد العنبري القاضي بيت حسان:
كلتاهما حَلَب العصير
وقال بعض مَن سَمّيت: هي السحاب التي فيها الماء ولمّا تُمطر كالمرأة المُعصر، وهي التي دنا حيضها ولم تَحض بعد.

كما قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ [الروم: 48].

وقال سُبحانَه: أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا [عبس: 25].

وقال ابن كيسان: قيل للسحاب مُعصرات من حيث تغيث، فهي من العُصرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]».

ووجّه ابنُ كثير (١٤/ ٢٢٨) القول الأول بقوله: «ومعنى هذا القول: أنها تَستدرّ المطر من السحاب».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٤) القول الثاني، وانتقد القولين الآخرين مستندًا إلى الدلالة العقلية، والأغلب من اللغة، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إنّ الله أخبر أنه أنزل من المُعصرات، وهي التي قد تحلّبت بالماء من السحاب ماء، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت، والرياح لا ماء فيها فينزل منها، وإنما ينزل بها، وكان يصحّ أن تكون الرياح لو كانت القراءة: (وأَنزَلْنا بِالْمُعْصِرَاتِ)، فلما كانت القراءة: ﴿من المعصرات﴾ عُلم أنّ المعنى بذلك ما وصفت، فإن ظنّ ظانٌّ أنّ الباء قد تعقب في مثل هذا الموضع» من «؛ قيل: ذلك وإن كان كذلك فالأغلب من معنى مِن غير ذلك، والتأويل على الأغلب مِن معنى الكلام.

فإن قال: فإنّ السماء قد يجوز أن تكون مرادًا بها.

قيل: إنّ ذلك وإن كان كذلك فإنّ الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره».

وبنحوه ابنُ كثير مستندًا إلى النظائر، فقال: «والأظهر أنّ المراد بالمُعصرات: السحاب، كما قال الله تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله﴾ [الروم: ٤٨]، أي: مِن بينه».

وانتقد ابنُ كثير القول الثالث بقوله: «وهذا قول غريب».

في قوله: ﴿ثجاجا﴾ قولان: الأول: مُنصبًّا مُتتابعًا.

الثاني: كثيرًا.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٤ – ١٥) القول الأول، وانتقد الثاني مستندًا إلى أقوال السلف، واللغة، والنظائر، فقال: «وأما قوله: ﴿ماء ثجاجا﴾ يقول: ماء مُنصبًّا يتبع بعضه بعضًا، كثج دماء البدن، وذلك سفكها، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر أقوال السلف على ذلك، ثم قال: «ولا يُعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الثّج، وإنما الثّج: الصَّبّ المُتتابع.

ومنه قول النبي – ﷺ –: «أفضل الحج: العَجّ، والثّجّ».

يعني بالثّجّ: صبّ دماء الهدايا والبدن بذبحها، يقال منه: ثججت دمه فأنا أثجّه ثجًّا، وقد ثجّ الدمُ فهو يثج ثجوجًا».

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15).

أي: لِنُخرِجَ بهذا المطَرِ أنواعَ الحُبوبِ –كالقَمْحِ، والشَّعيرِ، والذُّرَةِ، والأَرُزِّ– وأنواعَ النَّباتاتِ.

كما قال تعالى: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ [ق: 9].

وقال سُبحانَه: فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ [عبس: 27 – 32].

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16).

أي: ونُخرِجَ بالمطَرِ بَساتينَ وحَدائِقَ أشجارُها كثيرةٌ مُجتَمِعةٌ، مُلْتَفٌّ بَعْضُها ببَعْضٍ؛ لكَثْرتِها، وتَقارُبِها، وتداخُلِ أغصانِها.

سُورةُ النَّبَأِ

الآيات (17–20)

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20)

غريب الكلمات:

مِيقَاتًا: أي: وَقْتًا ومِيعادًا، والميقاتُ: الوقتُ المضروبُ للشَّيءِ، والوَعدُ الَّذي جُعِلَ له وَقْتٌ، وأصلُ (وقت): يدُلُّ على حَدِّ شَيءٍ في زَمانٍ وغَيرِه.

الصُّورِ: أي: القَرْنِ الَّذي يَنفُخُ فيه إسرافيلُ المَلَكُ الموكَّلُ به.

أَفْوَاجًا: أي: جَماعاتٍ، والفَوجُ: الجَماعةُ مِنَ النَّاسِ، وأصلُ (فوج): يدُلُّ على تجَمُّعٍ.

سَرَابًا: أي: هَباءً وغُبارًا مُنتَشِرًا كالسَّرابِ في عَينِ النَّاظِرِ، والسَّرابُ: ما رأيتَ مِنَ الشَّمسِ كالماءِ نِصفَ النَّهارِ، وأصلُ (سرب): يدُلُّ على الاتِّساعِ والذَّهابِ في الأرضِ.

تفسير الآيات:

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17).

أي: إنَّ يَومَ القيامةِ الَّذي يَحكُمُ اللهُ فيه بيْنَ عِبادِه يومٌ مُحَدَّدٌ بوَقتٍ مُعَيَّنٍ لجَمعِ النَّاسِ للحِساب والجَزاءِ.

كما قال تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ [الدخَان: 40].

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18).

أي: وذلك واقِعٌ يومَ يَنفُخُ المَلَكُ في القَرْنِ[6] لبَعْثِ النَّاسِ أحياءً يومَ القيامةِ، فتأتونَ -أيُّها النَّاسُ- مِن قُبورِكم إلى مَوضِعِ العَرْضِ للحِسابِ والجَزاءِ زُمَرًا وجَماعاتٍ.

كما قال تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا [الكهف: 99].

---

(6) الصُّور: هو القَرْن الذي يُنفخ فيه لِبَعْث الناس.

وقد ذكر ذلك ابنُ عطية (٨/ ٥١٦)، ثم ذكر احتمالًا آخر، فقال: «ويحتمل هذا الموضع أن يكون» الصُّور «فيه جمع صورة، أي: يوم يرد الله فيه الأرواح إلى الأبدان، هذا قول بعضهم في الصُّورِ، وجوزه أبو حاتم».

ثم رجّح -مستندًا إلى أقوال السلف، والنظائر- الأول، فقال: «والأول أشهر، وبه تظاهرت الآثار، وهو ظاهر كتاب الله تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى﴾ [الزمر: ٦٨]».

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيّ – ﷺ –، فقال: ما الصُّورُ؟ قال: قرنٌ يُنفَخُ فيه)).(7)

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19).

أي: وتتشقَّقُ السَّماءُ وتنفَرِجُ، فتكونُ أبوابًا مَفتوحةً.(8)

كما قال تعالى: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا [الفرقان: 25].

وقال سُبحانَه وتعالى: وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا [الحاقة: 16-17].

(7) أخرجه أبو داودَ (4742)، وأحمدُ (6507) باختلافٍ يسيرٍ، والترمذيُّ (2430)، والنسائيُّ (11456) واللَّفظُ لهما. حَسَّنه الترمذيُّ، وصَحَّح إسنادَه الحاكمُ في ((المستدرك)) (550/2)، ووافقه الذهبي في ((التلخيص)) (550/2)، وذَكَر ثُبوتَه ابن كثير في ((تفسير القرآن)) (308/5)، وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (9/10)، وصَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2430).

(8) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥١٦) في قوله: ﴿فكانت أبوابا﴾ قولين، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فكانت أبوابا﴾ قيل: معناه: تتفطّر وتتشقّق حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجدران.

وقال آخرون –فيما حكى مكي بن أبي طالب–: الأبواب هنا فِلَق الخشب التي تُجعل أبوابًا لفتوح الجدران، أي: تتقطّع السماء قِطعًا صغارًا حتى تكون كألواح الأبواب.

ورجّح القول الأول بقوله:» والقول الأول أحسن".

ولم يذكر مستندًا.

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20).

أي: وتُقلَعُ الجبالُ مِن أماكِنِها وتتفَتَّتُ تُرابًا، وتكونُ هَباءً، يُخيَّلُ إلى النَّاظرِ أنَّها شيءٌ، وليسَتْ بشيءٍ.

كما قال تعالى: وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا [الطور: 10].

سُورةُ النَّبأ

الآيات (21–30)

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَذُوقُونَ
فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ
حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ
نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30)

غريب الكلمات:

جَهَنَّمَ: اسمٌ للنَّارِ الَّتي يُعذِّبُ اللهُ بها في الآخرةِ، قيل: هي أعجميَّةٌ، وقيل: هي اسمٌ عربيٌّ، سُمِّيَتْ نارُ الآخرةِ بها؛ لِبُعْدِ قَعرِها، حُكيَ أنَّه قيل: رَكِيَّةٌ جِهنامٌ، أي: بعيدةُ القعرِ، وقيل: اشتِقاقُها مِن الجُهومةِ، وهي الغِلَظُ، وسُمِّيَتْ بذلك؛ لِغِلَظِ أمْرِها في العذابِ.

مِرْصَادًا: أي: مَوضِعَ رَصْدٍ وترَقُّبٍ لأعداءِ اللهِ، فهي مِفْعَالٌ مِنَ الرَّصْدِ، وهو التَّرَقُّبُ، وأصلُ (رصد): يدُلُّ على تهَيُّؤٍ لرِقْبةِ شَيءٍ.

لِلطَّاغِينَ: أي: للضَّالِّينَ المُتجاوِزينَ لحدود الله، وأصلُ الطُّغيانِ: مُجاوَزةُ الحَدِّ في العِصيانِ.

مَآبًا: أي: مَرْجِعًا ومَصيرًا ومَأْوًى، وأصلُ (أوب): يدُلُّ على رُجوعٍ.

أَحْقَابًا: أي: دُهورًا مُتتابِعةً، جمعُ الحقبِ، أي: الدَّهرِ، وأصلُ (حقب): يدُلُّ على حَبسٍ.

بَرْدًا: أي: بُرودةً تخَفِّفُ عنهم حرَّ النَّارِ، وأصلُ (برد) -على ذلك-: خِلافُ الحَرِّ، وقيل: البَرْدُ في هذا المَوضِعِ النَّومُ، يُقالُ: منَعَ البَرْدُ البَرْدَ، أي: منَعَ البَرْدُ النَّومَ، قيل: سُمِّيَ النَّومُ بَرْدًا؛ لأنَّه يرخي المفاصلَ، ويُسكِنُ الحرَكاتِ، وأصلُ (برد) -على ذلك-: السُّكونُ والثُّبوتُ.

حَمِيمًا: أي: ماءً حارًّا شَديدَ الحَرارةِ، وأصلُ (حمم) هنا: يدُلُّ على الحَرارةِ.

وَغَسَّـاقًا: أي: ما يَسـيلُ مِن جُلودِ أهلِ النَّارِ، وهو الصَّـديدُ، مِن قَولِهم: غَسَقَت عَينُه: إذا انصَبَّت، والغَسَقانُ: الانصِبابُ. وقيل: هو الزَّمهريرُ الَّذي انتهى بَرْدُه، يُحرِقُهم ببَرْدِه كما تُحرِقُهم النَّارُ بحَرِّها.

وِفَاقًا: أي: مُوافِقًا لأعمالِهم، والوَفْقُ: المُطابَقةُ بيْن الشَّيئَينِ، وأصلُ (وفق): يدُلُّ على مُلاءَمةِ الشَّيئَينِ.

كِذَّابًا: أي: تكذيبًا مفرطًا، وأصلُ (كذب): يدُلُّ على خِلافِ الصِّدقِ.

تفسير الآيات:

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21).

أي: إنَّ جَهَنَّمَ تَرصُـــدُ أَهْلَها وتَرْقُبُهم يومَ القيامةِ، فلا يُجاوِزُها مَن وَجَب عليه دُخولُها، واســـتَحَقَّ العَذابَ فيها.

كما قال تعالى: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِـــيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا [مريم: 71-72].

وعن أبي هُرَيرةَ وأبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ رَضِـيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال: ((يُضـرَبُ الصِّراطُ بيْنَ ظَهرانَيْ[9] جَهنَّمَ، فأكونُ أنا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يُجيزُ،[10] ولا يتكَلَّمُ يومَئذٍ إلَّا الرُّسُـــلُ، ودَعْوى الرُّسُـــلِ

---

(9) بيْنَ ظَهرانَيْ جَهنَّمَ: أي: بيْنَ طَرَفَيْها.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3554/8).

(10) يُجيزُ: أي: يَمضي عليه ويَقطَعُه.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (20/3).

يومَئذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سلِّمْ، وفي جهنَّمَ كَلاليبُ[11] مِثلُ شَوْكِ السَّعْدانِ،[12] غيرَ أنَّه لا يَعلَمُ قَدْرَ عِظَمِها إلَّا اللهُ، تخطَفُ النَّاسَ بأعمالِهم؛ فمِنهم مَن يُوبَقُ[13] بعَمَلِه، ومِنهم مَن يُخَرْدَلُ[14] ثمَّ يَنْجو)).[15]

لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22).

أي: تكونُ جَهنَّمُ للَّذين طَغَوا في الدُّنيا، فجاوَزوا حُدودَ اللهِ تعالى: مَصيرًا ومَرجِعًا في الآخِرةِ.

لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23).

أي: يمكُثونَ في جهنَّمَ مُدَدًا طَويلةً لا انقِضاءَ لها.[16]

---

(11) الكَلاليبُ: جَمعُ كَلُّوبٍ، وهو حديدةٌ مَعطوفةُ الرَّأسِ يُعلَّقُ فيها اللَّحمُ، وتُرسَلُ في التَّنُّورِ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (21/3).
(12) السَّعْدان: نَبتٌ له شوكةٌ عَظيمةٌ مِثلُ الحَسَكِ مِن كُلِّ الجوانِبِ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (22/3).
(13) يوبَقُ: أي: يُهلَكُ.
يُنظر: ((أعلام الحديث)) للخطَّابي (533/1)، ((تفسير غريب ما في الصحيحين)) للحميدي (ص: 294).
(14) يُخردَلُ: أي: يُقطَّعُ ويُصرَعُ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (22/3).
(15) رواه البخاري (806) واللَّفظُ له، ومسلم (182).
(16) اختُلف في الموصوف باللبث أحقابًا على قولين: الأول: الكفار.
الثاني: عُصاة المؤمنين.
وكذا اختُلف في مدة الحُقُب على أقوال: الأول: ألف شهر.
الثاني: ثلاثون ألف سنة.
الثالث: ثمانون سنة.
الرابع: بضع وثمانون سنة.
الخامس: أربعون سنة.

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24).

السادس: ثلاثمائة سنة.

السابع: ثمانون ألف سنة.

الثامن: سبعون ألف سنة.

التاسع: سبع عشرة ألف سنة.

العاشر: أنّ الحُقُب لا حَدّ له.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٢٦ بتصرف) هذا الخلاف، ثم قال: «الذي قاله قتادة والربيع بن أنس في ذلك أصح.

فإن قيل: فما للكفار عند الله عذاب إلا أحقابًا.

قيل: إنّ الربيع وقتادة قد قالا: إنّ هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع.

وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: ﴿لابثين فيها أحقابا﴾، في هذا النوع من العذاب هو أنهم: ﴿لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا﴾، فإذا انقضتْ تلك الأحقاب صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك، كما قال -جلّ ثناؤه- في كتابه: ﴿وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج﴾ [ص: ٥٥ - ٥٨]، وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٥١٨) هذه الأقوال، ثم قال معلّقًا: «اللازم أنّ الله تعالى أخبر عن الكفار أنهم يَلبثون أحْقابًا، كلّما مَرّ حُقُب جاء غيره إلى ما لا نهاية».

وانتقد -مستندًا إلى السياق- قول مَن جعلها في عُصاة المؤمنين بقوله: «وهذا أيضًا ضعيف، ما بعده في السورة يرد عليه».

وذكر ابنُ تيمية (٦/ ٤٥٣) نحو ما جاء في كلام ابن جرير مِن أنّ قوله: ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ أي: في هذا النوع من العذاب عن الزّجّاج، وانتقده مستندًا إلى الدلالة العقلية، والإجماع، فقال: «وهذا الذي قاله الزّجّاج شاذٌّ، خلاف ما عليه الأولون والآخرون، وهو خلاف ما دلّ عليه القرآن، فإنّ هذا يقتضي أنهم يَبقون بعد الأحقاب فيها، ولكن لا يذوقون البرد والشراب حينئذ، وهذا باطل قطعًا، ثم إذا ذاقوا البَرد والشراب فهذا نعيم، فكيف يكونون مُعذّبين فيها ذلك؟!».

عن عمرو بن أبي سَلمة، قال: سألت أبا معاذ الخراساني عن قول الله: ﴿لابِثِينَ فِيها أحْقابًا﴾.

فأَخبَرنا عن مقاتل بن حيّان قال: منسوخة، نَسَخَتْها: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلّا عَذابًا﴾ أخرجه ابن جرير ٢٤/ ٢٧.

ذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٢٧) هذا القول، وانتقده مستندًا إلى دلالة العقل، فقال: «ولا معنى لهذا القول؛ لأن قوله: ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي».

وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٥١٢).

أي: لا يَذوقُ الطَّاغُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا يُبَرِّدُ أبدانَهم،[17] ويَكسِرُ شِدَّةَ الحَرِّ، ولا شَرابًا يُبَرِّدُ بَواطِنَهم أو يُزيلُ عَطَشَهم.

إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25).

أي: لَكِنْ يَذوقونَ فِي جَهنَّمَ ماءً شَديدَ الحرارةِ، وما يَسيلُ مِن أهلِ النَّارِ مِن صَديدٍ وغَيرِه، وهو مع نَتنِ رائحتِه شديدُ البرودةِ.[18]

---

(17) في قوله: ﴿بردا﴾ ثلاثة أقوال: الأول: بَرد الهواء.

الثاني: النوم.

الثالث: الراحة.

ولم يذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٢٧) غير القولين الأولين، ورجّح القول الأول، وانتقد الثاني مستندًا إلى الأغلب لغة، فقال: «وقوله: ﴿لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا﴾ يقول: لا يَطعمون فيها بردًا يُبرد حرّ السعير عنهم، إلا الغسّاق، ولا شرابًا يَرويهم من شدة العطش الذي بهم، إلا الحميم».

فقال: «وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أنّ البَرد في هذا الموضع: النوم...، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره».

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٥١٩) على القول الأول والثاني بقوله: «فالذوق على هذين القولين مستعار».

(18) اختُلف في الغسّاق على أقوال: الأول: ما يَسيل مِن جلود أهل النار من الصديد.

الثاني: الزمهرير.

الثالث: المُنتِن.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٥٢٠) على القول الأول، فقال: «يقال: غسق الجرح: إذا سال منه قِيح ودم، وغَسقت العين: إذا دمعتْ وإذا خرج قَذاها».

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٣١) هذه الأقوال، ثم جمع بينها، فقال: «والغسّاق عندي: هو الفعال، من قولهم: غَسقتْ عينُ فلان: إذا سالتْ دموعها، وغَسق الجرح: إذا سال صديده، ومنه قول الله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ [الفلق: ٣] يعني بالغاسق: الليل إذا لبس الأشياء وغطاها، وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء هجوم السيل السائل، فإذا كان الغسّاق هو

كما قال تعالى:... فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ [الحج: 19–20].

وقال سُبحانَه: وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ [محمد: 15].

وقال عزَّ وجلَّ: وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ [الواقعة: 41 – 44].

جَزَاءً وِفَاقًا (26).

أي: ذلك العِقابُ للطَّاغِينَ مُوافِقٌ لأعمالِهم السَّيِّئةِ في الدُّنيا، فلم يَظْلِمْهم اللهُ تعالى، وإنَّما ظَلَموا أنفُسَهم.

إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27).

أي: إنَّهم كانوا في الدُّنيا لا يُؤمِنونَ بالبَعْثِ، ولا بأنَّهم يُحاسَبونَ ويُجازَوْنَ على أعمالِهم في الآخِرةِ.[19]

ما وصفتُ من الشيء السائل فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب، هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدة بَرده النَّتن».

(19) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٢١ – ٥٢١) القول بأنّ قوله: ﴿يرجون﴾ معناه: يَخافون، كما في آثار السلف، ثم ذكر قولًا آخر، فقال: «وقال غيره: الرجاء هنا على بابه، ولا رجاء إلا وهو مُقترن بخوف، ولا خوف إلا وهو مُقترن برجاء، فذكر أحد القسمين لأنّ المقصد العبارة عن تكذيبهم كأنه قال: إنهم كانوا لا يُصدِّقون بالحساب، فلذلك لا يَرجونه ولا يَخافونه».

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28).

أي: وكانوا يُكَذِّبونَ بآياتِ اللهِ تعالى تكذيبًا شَديدًا مع وُضوحِها ودَلالتِها على الحَقِّ.

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29).

أي: وكُلُّ شَيءٍ مِن أعمالِ العِبادِ أو غيرِها مكتوبٌ معدودٌ مَضبوطٌ، لا يَخْفى على اللهِ تعالى منه شَيءٌ.

كما قال تعالى: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: 49].

وقال سُبحانَه: وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ [القمر: 52–53].

فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30).

أي: يُقالُ للكُفَّارِ في جَهَنَّمَ تَوبيخًا وتَقريعًا لهم: فذُوقوا هذا العَذابَ، وسنَزيدُكم عذابًا فوقَ ما أنتم فيه!

كما قال الله تعالى: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ [النساء: 56].

وقال سُــبحانَه: الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَــدُّوا عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِــدُونَ [النحل: 88].

وقال عزَّ وجَلَّ: مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [الإسراء: 97].

سُورةُ النَّبَأِ

الآيات (31–36)

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهَاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36)

غريب الكلمات:

مَفَازًا: مصـــدرٌ كالفَوزِ، أي: فَوزًا ونَجاةً مِنَ النَّارِ، أو مكانَ فَوزٍ ونَجَاةٍ وخَلاصٍ، أو ظفرًا بما يُريدونَ، يُقالُ: فازَ بالأمرِ، إذا ظَفِرَ به. والفوزُ: الظَّفَرُ، وأصلُ (فوز): يدُلُّ على نجاةٍ.

حَدَائِقَ: أي: بَســاتينَ، جَمْعُ حَديقةٍ، وهي كلُّ بُسْـتانٍ عليه حائطٌ يُحدِقُ به، وما لم يكُنْ عليه حائطٌ لم يُقَلْ له حديقةٌ، ويُقالُ للقِطعةِ مِنَ النَّخلِ: حَديقةٌ، وقيل: الحديقةُ قِطعةٌ مِن الأرضِ ذاتُ ماءٍ، سُمِّيَتْ تشبيهًا بحَدَقةِ العَينِ في الهَيئةِ وحُصولِ الماءِ فيها، يُقالُ: حَدَقُوا به وأَحْدَقُوا: أحاطوا به، تشبيهًا بإدارةِ الحَدَقةِ، وأصلُ (حدق): هو الشَّيءُ يُحيطُ بشيءٍ.

وَكَوَاعِبَ: أي: جَوَارِيَ نَواهِدَ قد تَكَعَّبَتْ ثُدِيُّهنَّ، والكاعِبُ: الجاريةُ إذا نَهَد ثَدْيُها، أي: ارتَفَع عن الصَّدْرِ، وأصلُ (كعب): يدُلُّ على نُتُوٍّ وارتفاعٍ في الشَّيءِ.

أَتْرَابًا: أي: مُتســاوِياتٍ في السِّــنِّ، والتِّرْبُ: هو الَّذي مَسَّ التُّرابَ مع تِرْبِه في وَقتٍ واحِدٍ، وأصــلُ (ترب): يدُلُّ على تَساوي شَيئَينِ.

دِهَاقًا: أي: مُتْرَعةً مَملوءةً، وقيل: مُتتابِعةً، وأصلُ (دهق): يدُلُّ على امتلاءٍ.

لَغْوًا: أي: باطِلًا مِن القَولِ، وأصلُه يدُلُّ على الشَّيءِ لا يُعتَدُّ به.

حِسَابًا: أي: كافِيًا، يقالُ: شيءٌ حِسابٌ، أيْ: كافٍ، وأحْسَبْتُ فُلانًا، إذا أعطَيْتَه ما يُرْضِيه، وأعطيتُه الكِفايةَ حتَّى قال: حَسْبي، وأصلُ (حسب) هنا: الكِفايَةُ.

تفسير الآيات:

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31).

أي: إنَّ للَّذين اتَّقَوا سَـــخَطَ اللهِ وعَذابَه بامتِثالِ أمْرِه واجتنابِ نَهْيه: فَوزًا بالجنَّةِ الَّتي يَظفَرون فيها بما يُريدونَ، ونجاةً مِنَ النَّارِ.

كما قال الله تبارك وتعالى: فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران: 185].

حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32).

أي: بساتينَ مُحاطةً بالجُدْرانِ أو غَيْرِها، جامعةً لأصنافِ الأشجارِ المثمرةِ، ومِنها الأعنابُ.

وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33).

أي: ونِساءً شابَّاتٍ قد استدارَت أثداؤُهنَّ وبَرَزَت دونَ أن تتدلَّى للأسفَلِ، وهنَّ مُتساوِياتٌ في السِّنِّ.

كما قال تعالى: إِنَّا أَنْشَـأْنَاهُنَّ إِنْشَـاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْـحَابِ الْيَمِينِ [الواقعة: 35 – 38].

وَكَأْسًا دِهَاقًا (34).

أي: وكُؤوسًا مَملوءةً مِن خَمرِ الجَنَّةِ، صافيةً، مُتتابِعةً على شارِبيها.[20]

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35).

أي: لا يَسمَعُ المتَّقونَ في الجَنَّةِ لَغَطًا أو كَلامًا باطِلًا لا فائِدةَ فيه، ولا يَكذِبونَ ولا يُكَذِّبُ بَعْضُهم بعضًا في حَديثِهم.

---

(20) في قوله: ﴿دهاقا﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: ملأى.

الثاني: مُتتابعة.

الثالث: صافية.

وقد جمع ابنُ جرير (٢٤/ ٣٩ - ٤٢) -مستندًا إلى اللغة، وأقوال السلف- بين القول الأول والثاني، فقال: «وقوله: ﴿وكأسا دهاقا﴾ يقول: وكأسًا ملأى مُتتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء، وأصله من الدّهق: وهو مُتابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف.

وكذلك الكأس الدِّهاق: مُتابعتها على شاربيها بكثرة وامتلاء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر آثار السلف على ذلك، ثم ذكر قول مَن قال: إنّ معناه: متتابعة.

وقول مَن قال: إنّ معناه: صافية.

ولم يعلّق عليهما.

جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36).

أي: وهذا الجَزاءُ المذكورُ للمُتَّقينَ هو عَطاءٌ كافٍ وافِرٌ كثيرٌ مِن رَبِّك- يا محمَّدُ.(21)

كما قال الله تبارك وتعالى: وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا [المزمل: 20].

---

(21) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٢٢) أنّ جمهور المفسرين واللغويين ذكروا أنّ قوله: ﴿حسابا﴾ معناه: «محسبًا، أي: كافيًا من قولهم: أحسبني هذا الأمر، أي: كفاني، ومنه: حسبي الله».

ثم ذكر عن مجاهد أنّ ﴿حسابا﴾ معناه: «مُقسَّطًا على الأعمال».

ثم علّق بقوله: «لأنّ نفس دخول الجنة برحمة الله وتَفضُّله لا بعمل، والدرجات فيها والنِّعم على قدْر الأعمال، فإذا ضاعف الله لقوم حسناتهم بسبعمائة مثلًا، ومنهم المُكثر من الأعمال والمُقلّ؛ أخذ كلّ واحد سبعمائة بحسب عمله، وكذلك في كلّ تضعيف، فالحساب هنا هو بموازنة أعمال القوم».

سُورَةُ النَّبَأِ

الآيات (37–40)

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ
وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (39) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)

غريب الكلمات:

مَآبًا: أي: مَرْجِعًا يَرْجِعُ إليه بالطَّاعةِ والعملِ الصَّالِحِ، وأصلُ (أوب): يدُلُّ على الرُّجوعِ.

تفسير الآيات:

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37).

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ.

أي: خالِقِ ومالِكِ ومدَبِّرِ السَّمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما مِن المخلوقاتِ، الرَّحمنِ الَّذي وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ.

لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا.

أي: لا يَقْدِرُ أحَدٌ مِنَ الخَلْقِ على مُخاطَبةِ اللهِ –سُبحانَه وتعالى– يومَ القيامةِ بلا إِذْنٍ.[22]

كما قال الله تعالى: يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ [هود: 105].

---

(22) رجّح ابنُ تيمية (٦/ ٤٥٤) –مستندًا إلى النظائر، والسنة– أنّ قوله: ﴿لا يملكون منه خطابا﴾ عام في جميع الخَلْق، فقال:
«والصحيح: قول الجمهور والسلف أنّ هذا عام، كما قال في آية أخرى: ﴿وخَشَعَت الأَصْواتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، وفي حديث التَّجلّي الذي في الصحيح لمّا ذكر مرورهم على الصراط قال – ﷺ –: «ولا يَتكلّم أحد إلا الرُّسُل، ودعوى الرُّسُل: اللهم، سَلِّمْ سَلِّمْ».
فهذا في وقت المرور على الصراط، وهو بعد الحساب والميزان، فكيف بما قبل ذلك؟!».

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (38).

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا.

أي: وذلك واقعٌ يَومَ يقومُ جِبريلُ[23] وجميعُ الملائِكةِ مُصْطَفِّينَ بخُضوعٍ للهِ تعالى.

---

(23) اختُلف فيما عنى الله بالروح في هذه الآية على أقوال: الأول: مَلَكٌ مِن أعظم الملائكة.

الثاني: جبريل.

الثالث: خَلْقٌ يُشبه بني آدم.

الرابع: بنو آدم.

الخامس: أرواح بني آدم.

السادس: القرآن.

السابع: أنهم حفظة على الملائكة.

وعلّق ابنُ كثير (١٤/ ٢٣٦) على القول الثاني بقوله: «ويُستشهد لهذا القول بقوله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]».

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٥٢٣ - ٥٢٤) على القول الخامس، فقال: «وقال ابن عباس، والحسن، وقتادة: الرُّوحُ هنا اسم جنس، يراد به: أرواح بني آدم، والمعنى: يوم تقوم الأرواح في أجسادها إثر البعث والنشأة الآخرة، ويكون الجمع من الإنس والملائكة صَفًّا، ولا يتكلّم أحد هيبة وفزعًا، ﴿إِلَّا مَن أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ مِن مَلَك أو نبيٍّ، وكان أهلًا أن يقول صَوابًا في ذلك الموطن».

وعلّق على القول السادس، فقال: «وقال ابن زيد: كان أبي يقول: هو القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحًا مِن أَمْرِنا﴾ [الشورى: ٥٢] أي: من أمرنا.

فالقيام فيه مُستعار يُراد به بيانه وظهوره وشدة آثاره، والأشياء الكائنة عن تصديقه أو تكذيبه».

ثم انتقده بقوله: «ومع هذا ففي القول قلق».

وجوّز ابنُ جرير (٢٤/ ٥٠) هذه الأقوال، ولم يقطع بقولٍ منها؛ لصحتها، وعدم الدليل على التعيين، فقال: «والصواب من القول أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذِكْره- أخبر أنّ خَلْقه لا يملكون منه خطابًا يوم يقوم الروح، والروح: خَلْقٌ من خَلْقه.

وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أيَّ ذلك هو؟ ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له، ولا حُجّة تدل عليه، وغير ضائر الجهل به».

ورجّح ابنُ كثير (٨/ ٣١٠) القول الرابع، فقال: «والأشبه -والله أعلم- أنهم بنو آدم».

ولم يذكر مستندًا.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [الشعراء: 192-193].

وقال سُبحانَه: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [الفجر: 22].

لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا.

أي: لا يَتكَلَّمونَ يومَ القيامةِ إلَّا مَن أَذِنَ اللهُ له في الكلامِ، وقال قولًا حَقًّا صائِبًا مُوافِقًا لِمَرْضاةِ اللهِ تعالى.[24]

ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (39).

ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ.

أي: ذلك اليَومُ العَظيمُ كائِنٌ لا مَحالةَ، ولا شَكَّ في وُقوعِه.

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا.

---

(24) اختُلف في الوقت الذي يُؤذن فيه بالكلام القول الصواب على قولين: الأول: أنه في الدنيا، كما ورد في قول مَن قال من السلف: هو قول لا إله إلا الله، والإذن يكون في الدنيا بالتوحيد.

الثاني: أنه في الآخرة، والإذن كما أُشير إليه في أثر عكرمة من طريق أبي عمرو.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٥٢) القولين، ولم يقطع بأحدهما لعدم وجود دليل على تعيينه، فقال: «والصواب من القول في ذلك: أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذِكره- أخبر عن خَلْقه أنهم لا يتكلّمون يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا، إلا مَن أذن له منهم في الكلام الرحمن، وقال صوابًا، فالواجب أن يُقال كما أخبر إذ لم يخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله، أنه عنى بذلك نوعًا من أنواع الصواب، والظاهر محتمل جميعه».

أي: فمَن شاء عَمِلَ عَمَلًا صالحًا يَرجِعُ به إلى اللهِ تعالى.

كما قال تعالى: فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا [الإنسان: 29-30].

إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40).

إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا.

أي: إنَّا حَذَّرْناكم -أيُّها النَّاسُ- عَذابًا قد دنا وقرُب منكم.

كما قال تعالى: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا [المعارج: 6-7].

وقال سُبحانَه: كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا [النازعات: 46].

يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ.

أي: وذلك يومَ يَنظُرُ كُلُّ إنسانٍ إلى ما عَمِلَه مِن قَبْلُ في حياتِه.

كما قال تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا [آل عمران: 30].

وقال سُــبحانَه: يَوْمَئِذٍ يَصْــدُرُ النَّاسُ أَشْــتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: 6 – 8].

وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا.

أي: ويَقولُ الكافِرُ مُتحَسِّرًا يومَئِذٍ: يا لَيْتَني كُنتُ تُرابًا![25]

كما قال تعالى: يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا [النساء: 42].

(25) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٢٤) في قوله: ﴿يا ليتني كنت ترابا﴾ ما أفادته آثار السلف مِن أنّ هذا «تَمَنٍّ أن يكون شيئًا حقيرًا، لا يُحاسب، ولا يلتفتُ إليه».

وعلّق عليه قائلًا: «وهذا قد تجده في الخائفين من المؤمنين».

ثم ذكر في معنى الآية قولًا آخر، ووجّهه، فقال: «قال أبو القاسم بن حبيب: رأيتُ في بعض التفاسير أنّ الكافر هنا: إبليس، إذا رأى ما حصـــل للمؤمنين من بني آدم من الثواب، قال: يا ليتني كنتُ ترابًا، أي: كآدم الذي خُلق من تراب واحتقره هو أولًا».

تَفْسِيرُ
سُورَةِ النَّازِعاتِ

سُورةُ النَّازِعاتِ

سُورةُ النَّازِعاتِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ: (النَّازعاتِ).[26]

سورةُ النَّازِعاتِ مَكِّيَّةٌ، نقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.[27]

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

تقريرُ أنَّ البَعثَ حَقٌّ، وذِكرُ جانبٍ مِن أهوالِ القيامةِ، والرَّدُّ على المُنكِرينَ للبعثِ، وتهديدُهم وتَرهيبُهم.

---

(26) سُمِّيَت بذلك؛ لوُقوعِ القَسَمِ الإلهيِّ في أوَّلِها وافتتاحِها به، في قَولِه تعالى: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، ولأنَّه لم يُذكَرْ في غَيرِها.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (59/30).

وقيل: تُسمَّى «سورةَ السَّاهرةِ»؛ لوُقوعِ لفظِ «السَّاهرةِ» في أثنائِها، ولم يقَعْ في غيرِها مِن السُّوَرِ.

وتُسمَّى «سورةَ الطَّامَّةِ»؛ لوُقوعِ لفظِ «الطَّامَّةِ» فيها، ولم يقَعْ في غيرِها.

يُنظر: ((جمال القراء وكمال الإقراء)) لعلم الدين السخاوي (ص: 92)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (217/21)، ((تفسير ابن عاشور)) (59/30).

(27) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّة، وابن الجوزي، والقرطبي، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (401/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (393/4)، ((تفسير القرطبي)) (190/19)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (153/3).

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- إثباتُ البَعثِ والجَزاءِ.

2- الرَّدُّ على المُشرِكينَ المُنكِرينَ لوُقوعِ البَعثِ.

3- ذِكرُ جانبٍ مِن قِصَّةِ موسى عليه السَّلامُ، وإرسالِه إلى فِرعَونَ.

4- إقامةُ الأدِلَّةِ على إثباتِ البَعثِ وأنَّه حَقٌّ، وذِكرُ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ.

5- ذِكرُ شَيءٍ مِن أحداثِ الآخِرةِ، وأهوالِ القيامةِ.

6- بيانُ حُسنِ عاقِبةِ المتَّقينَ، وسوءِ عاقِبةِ الكافِرينَ.

7- الإجابةُ على أسئلةِ المُشرِكينَ عن وُقوعِ يومِ القيامةِ، وبيانُ أنَّ مَوعِدَ مَجيءِ هذا اليومِ مَردُّه إلى اللهِ وَحْدَه، وأنَّ شأنَ الرَّسولِ أن يُذَكِّرَهم بها، وأنَّها إذا حَلَّت بهم ورَأَوْها كأنَّهم مع طُولِ الزَّمَنِ لم يَلبَثوا إلَّا جُزءًا مِنَ النَّهارِ.

سُورةُ النَّازِعاتِ

الآيات (1–14)

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4)
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ
(8) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً
(11) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (12) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (13) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ
(14)

غريب الكلمات:

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا: أي: الملائكةِ الَّذين يَنزِعونَ أرواحَ الكُفَّارِ عن أبدانِهم نَزْعًا شديدًا، وغَرْقًا اسمُ مَصدرٍ مِن «أغرَقَ»، وأصلُه: إغراقًا، والإغراقُ في الشَّيءِ: المُبالَغةُ فيه والوُصولُ به إلى نهايتِه، يُقالُ: أغرَقَ فُلانٌ في هذا الأمرِ: إذا أوغَلَ فيه، وبَلَغ أقصى غايتِه، وأصلُ (نزع): يدُلُّ على قَلْعِ شَيءٍ، وأصلُ (غرق): يدُلُّ على انتِهاءٍ في شَيءٍ يُبلَغُ أقصاه.

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا: أي: الملائكةِ الَّذين يَقبِضُون أرواحَ المؤمِنينَ بسُهولةٍ ورِفْقٍ وسُرْعةٍ؛ مِنَ النَّشْطِ: وهو السُّرعةُ في العَمَلِ، والخِفَّةُ في أخذِ الشَّيءِ، وأصلُ (نشط): يدُلُّ على اهتِزازٍ وحَرَكةٍ.

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا: أي: الملائِكةِ يَنزِلونَ مِن السَّماءِ مُسرِعينَ كالفَرَسِ الجَوَادِ يُقالُ له: سابحٌ: إذا أسرَعَ في جَرْيِه. وقيل: هم الملائِكةُ يَقبِضونَ أرواحَ المؤمِنينَ يَسُلُّونَها سَلًّا رفيقًا، ثمَّ يَدَعُونَها حتَّى تستريحَ، كالسَّابِحِ بالشَّيءِ في الماءِ يَرفُقُ به، وأصلُه مِن السَّبْحِ: وهو المَرُّ السَّريعُ.

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا: أي: الملائكةِ يَسبِقونَ ابنَ آدَمَ بالخَيرِ والعَمَلِ الصَّالحِ. وقيل: هم الملائكةُ يَسبِقونَ بأرواحِ المؤمِنينَ إلى الجنَّةِ، وأصلُ السَّبقِ: التَّقدُّمُ في السَّيرِ.

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا: الملائِكةِ يَنزِلونَ بالتَّدبيرِ مِن عندِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، وأصلُ (دبر): يدُلُّ على آخِرِ الشَّيءِ، فتدبيرُ الإنسانِ أمْرَه أنَّه يَنظُرُ إلى ما تصيرُ عاقبتُه وآخِرُه.

الرَّاجِفَةُ: أي: الصَّيحةُ، وهي النَّفخةُ الأُولى، وأصلُ (رجف): يدُلُّ على الاضطرابِ الشَّديدِ.

الرَّادِفَةُ: أي: الصَّيحةُ التَّابِعةُ لها، وهي النَّفخةُ الثَّانيةُ، وأصلُ (ردف): يدُلُّ على إتْباعِ الشَّيءِ.

وَاجِفَةٌ: أي: خائِفةٌ شَديدةُ الاضطرابِ، يُقالُ: وَجَف قلبُه يَجِفُ وَجِيفًا: إذا اضطَرَب.

الْحَافِرَةِ: أي: أوَّلِ خَلْقِنا، وابتداءِ أمْرِنا، فنَصيرُ أحياءً بَعْدَ الموتِ، يقالُ: رَجَع فُلانٌ في حافِرتِه، أي: رَجَع مِن حيثُ جاء، والحافِرةُ عندَ العَرَبِ: اسمُ أوَّلِ الشَّيءِ، وابتِداءِ الأمرِ، وأصلُ (حفر) هنا: أوَّلُ الأمرِ.

نَخِرَةً: أي: باليةً مُتفَتِّتةً، وأصلُ (نخر): يدُلُّ على صَوتٍ؛ لأنَّ هذه العِظامَ البالِيةَ خلا ما فيها، فصار الهواءُ يَنخِرُ فيها، أي: يَصُوتُ.

كَرَّةٌ: أي: رَجْعَةٌ وإعادةٌ، والكَرُّ: الرُّجوعُ إلى الشَّيءِ.

زَجْرَةٌ: أي: صَيحةٌ بشِدَّةٍ وانتِهارٍ، وهي النَّفخةُ في الصُّورِ للبعثِ، وأصلُ (زجر): يدُلُّ على طَردٍ بصَوتٍ.

بِالسَّاهِرَةِ: أي: وَجهِ الأرضِ وظَهْرِها، وهي أرضٌ مُسْتَويةٌ بَيضاءُ لا نَباتَ فيها، يَجعَلُها اللهُ تعالى لجَمعِ النَّاسِ للحَشْرِ، وُصِفَتْ بما يقَعُ فيها، وهو السَّهَرُ، وأصلُ (سهر): يدُلُّ على ذَهابِ النَّومِ.

تفسير الآيات:

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1).

أي: أُقسِمُ بالملائِكةِ الَّتي تَنزِعُ أرواحَ الكُفَّارِ مِن أبْدانِهم بشِدَّةٍ.(28)

---

(28) اختُلف في النازعات ما هي؟ وما تَنزع؟ على أقوال: الأول: أنها الملائكة تَنزع نفوسَ بني آدم.
الثاني: أنه الموت يَنزع النفوس.
الثالث: أنها النُّجوم تَنزع من أفق إلى أفق.
الرابع: أنها القسي تُنزع بالسهم.
الخامس: أنها النفس حين تُنزع.
وقد ذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٥٩) هذه الأقوال، ورجّح العموم فيها، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذِكْره- أقسم بالنازعات غرقًا، ولم يخصص نازعة دون نازعة، فكلّ نازعة غرقًا فداخلة في قَسمه؛ مَلَكًا كان، أو موتًا، أو نجمًا، أو قوسًا، أو غير ذلك.
والمعنى: والنازعات إغراقًا، كما يغرق النازع في القوس».
ورجّح ابنُ القيم (٣/ ٢٤٩ - ٢٥٠ بتصرف) -مستندًا إلى الدلالة العقلية- القول الأول، فقال: «قلتُ: النازعات اسم فاعل من نزع، ويقال: نزع كذا إذا اجتذبه بقوة، ونزع عنه إذا خلّاه وتركه بعد ملابسته له، ونزع إليه إذا ذهب إليه ومال إليه.
وهذا إنما تُوصف به النفوس التي لها حركة إرادية للميل إلى الشيء أو الميل عنه، وأحقّ ما صدق عليه هذا الوصف الملائكة؛ لأنّ هذه القوة فيها أكمل، وموضع الآية فيها أعظم، فهي التي تُغرق في النزع إذا طلبتْ ما تنزعه، أو تنزع إليه، والنفس الإنسانية أيضًا لها هذه القوة».
ووافقه ابنُ كثير (١٤/ ٢٣٨) بقوله: «والصحيح الأول، وعليه الأكثرون».
ثم وجّه ابنُ القيم بقية الأقوال الواردة عن السلف، فقال: «والنُّجوم أيضًا تَنزع من أفق إلى أفق؛ فالنّزع حركة شديدة؛ سواء كانت من مَلَك، أو نفس إنسانية، أو نجم، والنفوس تَنزع إلى أوطانها وإلى مألفها، وعند الموت تَنزع إلى ربها المنايا تنزع النفوس، والقِسِيُّ تُنزع بالسهام، والملائكة تنزِع من مكان إلى مكان، وتَنزع ما وُكِلتْ بنزعه، والخيل تَنزع في أعنّتها نزعًا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها.
فالصفة واقعة على كلّ مَن له هذه الحركة التي هي آيةٌ مِن آيات الرّبّ تعالى؛ فإنه هو الذي خَلَقها، وخَلَق محلَّها، وخَلَق القوة والنفس التي بها تتحرك، ومن ذكر صورة من هذه الصور فإنما أراد التمثيل، وإن كانت الملائكة أحقَّ مَن تناوله هذا الوصف...

كما قال تعالى: وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ [الأنعام: 93].

وقال سبحانه: وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ [الأنفال: 50].

وعن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال: ((... وإنَّ العَبْدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطاعٍ مِن الدُّنيا وإقبالٍ مِن الآخرةِ، نزل إليه مِنَ السَّماءِ مَلائِكةٌ سُودُ الوُجوهِ، معهم المُسُوحُ، فيَجلِسونَ منه مَدَّ البَصرِ، ثمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ، حتَّى يَجلِسَ عندَ رأسِه، فيقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وغَضَبٍ، فتفَرَّقُ في جَسَدِه، فيَنتزِعُها كما يُنتزَعُ السَّفُّودُ مِن الصُّوفِ المَبلولِ! فيأخُذُها، فإذا أخذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عَينٍ حتَّى يَجعَلوها في تِلكَ المُسوحِ، ويَخرُجُ منها كأنتَنِ رِيحِ جيفةٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ! فيَصعَدونَ بها)).(29)

وهذا أولى الأقوال».

(29) أخرجه ابن أبي شَيْبةَ في ((المصنَّف)) (12059)، وأحمدُ (18534)، والطَّيالسيُّ (789)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (107) بألفاظٍ مُتقاربةٍ.

صحَّح إسنادَه ابنُ جرير في ((مسند ابن عمر)) (2/494)، والبيهقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (1/300)، وقال ابنُ مَنْدَه في ((الإيمان)) (398): إسنادُه مُتَّصِلٌ مشهورٌ ثابتٌ على رَسمِ الجماعةِ.

وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح الترغيب)) (3558).

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2).

أي: وأُقسِمُ بالملائِكةِ الَّتي تَقبِضُ أرواحَ المؤمِنينَ بسُهولةٍ ورِفْقٍ، وسُرْعةٍ وخِفَّةٍ.[30]

عن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِـيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((إنَّ العبدَ المؤمِنَ إذا كان في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنيا، وإقْبالٍ مِنَ الآخِرةِ، نزَلَ إليه مَلائكةٌ مِنَ السَّــماءِ بِيضُ الوُجوهِ، كأنَّ وُجوهَهمُ الشَّــمسُ، معَهم كَفَنٌ مِن أكْفانِ الجَنَّةِ، وحَنُوطٌ مِن حَنُوطِ الجنَّةِ، حتَّى يَجْلِســوا منه مَدَّ البَصَــرِ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ المَوتِ عليه السَّــلامُ، حتَّى يَجلِسَ عندَ رأْسِــه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبةُ، اخْرُجي إلى مَغفِرةٍ مِنَ اللهِ ورِضْوانٍ. فتَخرُجُ تَسِيلُ كما تَسيلُ القَطْرةُ مِن فِي السِّقَاءِ، فيَأْخُذُها)).[31]

---

(30) اختُلف في قوله: ﴿والناشطات نشطا﴾ على أقوال: الأول: أنها الملائكة، تَنشِط نفس المؤمن فتقبضها.

الثاني: أنه الموت، يَنشِط النفوس فيَقبضها.

الثالث: أنها النُّجوم، تَنشَط من أُفق لأُفق.

الرابع: أنها الأوهاق.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٦١) هذه الأقوال، ورجّح العموم فيها، فقال: «والصـواب من القول في ذلك عندي أن يُقال: إنّ الله –جلّ ثناؤه– أقسم بالناشـطات نشـطًا، وهي التي تَنشَط مِن موضع إلى موضـع، فتَذهب إليه، ولم يخصص الله بذلك شيئًا دون شـيء، بل عمّ القَسـم بجميع الناشـطات، والملائكة تَنشـط من موضـع إلى موضـع، وكذلك الموت، وكذلك النُّجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضًـا تَنشـط، والهموم تَنشِـط صـاحبها، فكلّ ناشـطٍ فداخل فيما أقسـم به، إلا أن تقوم حُجّة يجب التسليم لها بأن المعنيّ بالقَسم من ذلك بعضٌ دون بعض».

(31) أخرجه ابن أبي شَـيْبَة في ((المصـنَّف)) (12059)، وأحمدُ (18534)، والطَّيالسـيُّ (789)، والحاكمُ في ((المسـتدرك)) (107) بألفاظٍ مُتقاربةٍ.

صــحَّح إســنادَه ابنُ جرير في ((مســند ابن عمر)) (494/2)، والبيهقيُّ في ((شُـعَب الإيمان)) (300/1)، وقال ابنُ مَنْدَه في ((الإيمان)) (398): (إسنادُه مُتَّصِلٌ مشهورٌ ثابتٌ على رَسمِ الجماعةِ).

وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح الترغيب)) (3558).

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3).

أي: وأُقسِمُ بالملائكةِ الَّتي تَسبَحُ في أجواءِ السَّمَواتِ وآفاقِ الأرضِ بأمرِ اللهِ تعالى.(32)

---

(32) اختُلف في قوله: ﴿والسابحات سبحا﴾ على أقوال: الأول: الملائكة.

الثاني: النُّجوم.

الثالث: الموت.

الرابع: أرواح المؤمنين.

الخامس: السُّفن.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦٣) العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال: إنّ الله –جلّ ثناؤه– أقسم بالسّابحات سبحًا من خَلْقه، ولم يخصص من ذلك بعضًا دون بعض، فذلك كلّ سابح؛ لما وصفنا قبل في النازعات».

وزاد ابنُ عطية (٨/ ٥٢٦) في معنى الآية عدة أقوال، فقال: «وقال أبو رَوق: السابحات: الشمس والقمر والليل والنهار.

وقال بعض المتأولين: السابحات: السحاب؛ لأنها كالعائمة في الهواء.

وقال عطاء وجماعة: السابحات: الخيل، ويقال للفرس: سابح.

وقال آخرون: السابحات: الحيتان دواب البحر فما دونها، وذلك من عظيم المخلوقات، فرُوي أنّ الله تعالى بثّ في الدنيا ألف نوع من الحيوان؛ منها أربعمائة في البر، وستمائة في البحر».

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4).

أي: فالملائِكةِ الَّتي تُسارِعُ إلى تنفيذِ أمرِ اللهِ تعالى بلا تأخُّرٍ ولا إبطاءٍ.(33)

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5).

أي: فالملائِكةِ الَّتي تُدَبِّرُ ما وكَّلَها اللهُ بتَدبيرِه.(34)

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6).

أي: يومَ تَضطَرِبُ الأرضُ وتَتزلزَلُ.(35)

---

(33) اختُلف في قوله: ﴿فالسابقات سبقا﴾ على أقوال: الأول: الملائكة.

الثاني: الموت.

الثالث: النُّجوم.

الرابع: أنفس المؤمنين.

الخامس: الخيل.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦٤) صوابَ جميعها مستندًا لأقوال السلف، والعموم.

وزاد ابن عطية (٨/ ٥٢٦) قولا أنها الرِّياح.

(34) قال ابنُ عطية (٨/ ٥٢٧) مســـتندًا إلى الإجماع: «وأمّا ﴿المدبرات﴾ فلا أحفظ خلافًا أنها الملائكة، ومعناها: أنها تُدبِّر الأمور التي يُسخِّرها الله تعالى وصرّفها فيها كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات».

وبنحوه قال ابنُ تيمية (٦/ ٤٥٧).

(35) قـال ابنُ جرير (٢٤/ ٦٥): «وقولـه: ﴿يوم ترجف الراجفـة﴾ يقول -تعـالى ذِكره-: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ [المزمل: ١٤] للنَّفخة الأولى، ﴿تتبعها الرادفة﴾ تتبعها أخرى بعدها، وهي النَّفخة الثانية التي ردفت الأولى، لبعْث يوم القيامة».

وذكر أقوال السلف على هذا، ثم ذكر أثر مجاهد، وقول مَن قال: الراجفة: الأرض، والرادفة: الساعة.

ولم يعلّق عليهما.

تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7).

أي: تَتبَعُ تلك الرَّجفةَ رَجفةٌ أُخرى تأتي بَعْدَها.

عن أُبَيّ بنِ كَعبٍ رَضِـيَ اللهُ عنه، قال: ((كان رَسـولُ الله – ﷺ – إذا ذَهَب ثُلُثا اللَّيلِ قام فقال: يا أيُّها النَّاسُ، اذكُروا اللهَ، اذكُروا اللهَ، جاءت الرَّاجِفةُ، تَتْبَعُها الرَّادِفةُ، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموتُ بما فيه)).[36]

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8).

أي: قُلوبُ الكُفَّارِ المكَذِّبينَ في ذلك اليَومِ شَديدةُ الخَوفِ والاضطرابِ والقَلَقِ مِن شِدَّةِ أهوالِه.

أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9).

أي: تكونُ أبصارُ أولئك الكُفَّارِ ذَليلةً مُنكَسِرةً لا تكادُ تُحَدِّقُ بها وتَنظُرُ.

كما قال الله تبارك وتعالى: خَاشِـعَةً أَبْصَـارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج: 44].

(36) أخرجه الترمذيُّ (2457) واللَّفظُ له، وأحمدُ (21241) مختصرًا.

قال الترمذي: (حسَنٌ صحيحٌ).

وحَسَّنه ابنُ حجر في ((موافقة الخُبْرِ الخَبَر)) (340/2)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2457).

يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10).

أي: يقولُ المكَذِّبونَ بالبَعثِ: أنَعودُ أحياءً بعْدَ مَوتِنا، ونُبعَثُ مِن قُبورِنا؟[37]

أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (11).

أي: كيف نُبعَثُ أحياءً بعْدَ مَوتِنا إذا صِرْنا عِظامًا باليَةً مُتفَتّتةً؟!

كما قال الله تبارك وتعالى: وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا [الإسراء: 49].

قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (12).

---

(37) اختُلف في الحافرة على أقوال: الأول: العودة إلى الحياة.

الثاني: الأرض التي فيها قبورهم حُفِرتْ.

الثالث: النار.

واختار ابنُ جرير (٢٤/ ٧٠) –مستندًا إلى اللغة، وأقوال السلف– أنها العودة إلى الحياة بعد الموت، فقال: «يقول –تعالى ذِكْره–: يقول هؤلاء المُكَذِّبون بالبعْث مِن مشركي قريش إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: أئنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجِعون أحياء كما كُنّا قبل هلاكنا، وقبل مماتنا؟ وهو مِن قولهم: رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء، ومنه قول الشاعر:

أحافِرَةً عَلى صَلَعٍ وشَيْبٍ مَعاذَ اللهِ مِن سَفَهٍ وطَيْش

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر أقوال السلف على هذا، ووجّه (٢٤/ ٧١) القول الثاني بقوله: «وقال آخرون: الحافرة: الأرض المحفورة التي حُفِرتْ فيها قبورهم، فجعلوا ذلك نظير قوله: ﴿من ماء دافق﴾ [الطارق: ٦] يعني: مدفوق، وقالوا: الحافرة بمعنى المحفورة، ومعنى الكلام عندهم: أئنا لمردودون في قبورنا أمواتًا؟!».

أي: قال أولئك المكَذِّبونَ: إنْ حصَــلَت تلك الرَّجعةُ المزعومةُ إلى الحياةِ بعْدَ الموتِ فنحن خاسِــرونَ إذَنْ.[38]

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (13).

أي: فإنَّما هي صَيحةٌ واحِدةٌ ونَفخةٌ تُنفَخُ في الصُّورِ بلا تَكرارٍ.

كما قال تعالى: فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ [الصافات: 19].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِــيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَســولُ اللهِ – ﷺ –: ((... يَصْــعَقُ النَّاسُ، ثمَّ يُرسِــلُ اللهُ –أو قال: يُنزِلُ اللهُ– مطَرًا كأنَّه الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فتَنبُتُ منه أجســادُ النَّاسِ، ثمَّ يُنفَخُ فيه أُخرى، فإذا هم قِيامٌ يَنظُرونَ، ثمَّ يُقالُ: يا أيُّها النَّاسُ، هَلُمَّ إلى رَبِّكم)).[39]

---

(38) قوله: ﴿خاسرة﴾ مِن الخسران، أي: رجعة خاسرة؛ لما فيها من سوء المآل.
وقد ذكر هذا ابنُ عطية (٨/ ٥٢٩)، وأضاف عن الحسن أنّ ﴿خاسرة﴾ بمعنى: كاذبة، ووجّهه بقوله: «أي: ليست كافية».

(39) رواه مسلم (2940).

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (14).

أي: فإذا النَّاسُ قِيامٌ مِن قُبورِهم أحياءً على ظَهْرِ أرضِ المحشَرِ.[40]

(40) اختُلف فيما عنى الله بالسّاهرة على أقوال: الأول: وجه الأرض.

الثاني: اسم مكان مِن الأرض بعينه معروف.

الثالث: جبلٌ بعينه.

الرابع: جهنم.

الخامس: المكان المستوي.

السادس: الأرض كلّها.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٧٤ بتصرف) –مستندًا إلى اللغة– القول الأول، فقال: «وقوله: ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ يعني: بظهر الأرض.

والعرب تُسمّي الفَلاة ووجه الأرض: ساهرة، وأراهم سَمّوا ذلك بها لأن فيه نوم الحيوان وسهرها، فوصف بصفة ما فيه».

وبنحوه قال ابنُ كثير (١٤/ ٢٤١)، وانتقد بقية الأقوال بقوله: «وهذه أقوال كلّها غريبة».

سُورةُ النَّازِعاتِ

الآيات (15–26)

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ
إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23)
فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِمَنْ يَخْشَى (26)

غريب الكلمات:

الْمُقَدَّسِ: أي: المُطَهَّرِ المُبارَكِ، وأصلُ (قدس): يدُلُّ على الطُّهرِ.

طَغَى: أي: عَتا، وتَجاوَزَ حدَّه في العُدوانِ، والتَّكبُّرِ على ربِّه، وأصلُ الطُّغيانِ: مُجاوَزةُ الحَدِّ في العِصيانِ.

تَزَكَّى: أي: تتطهَّرَ مِن الشِّرْكِ، وأصلُ (زكى): يدُلُّ على نَماءٍ وطهارةٍ.

أَدْبَرَ: أي: ولَّى مُعرِضًا، وأصلُ (دبر): آخِرُ الشَّيءِ وخَلْفُه.

فَحَشَرَ: أي: فجمَع قَومَه وجُنودَه، وأصلُ (حشر): يدُلُّ على جَمعٍ مع سَوقٍ.

نَكَالَ: النَّكالُ: العُقوبةُ والتَّنكيلُ، يُقالُ: نَكَّلْتُ بفُلانٍ، إذا عاقَبْتَه في شَيءٍ أتاه عقوبةً تُنَكِّلُ غيرَه عن ارتكابِ مِثلِه، أي: تمنَعُ وترُدُّ، والنِّكْلُ: القَيدُ؛ لأنَّه يَمنَعُ الجَريَ، وأصلُ (نكل): يدُلُّ على مَنعٍ.

لَعِبْرَةً: أي: لَعِظَةً ومُعتبَرًا وفِكرةً، والعِبرةُ: الدَّلالةُ بالشَّيءِ على مِثلِه، وحقيقتُها: الحالةُ الَّتي يُتوصَّلُ بها مِن معرفةِ المُشاهَدِ إلى ما ليس بمُشاهَدٍ، وأصلُ (عبر): يدُلُّ على النُّفوذِ والمُضِيِّ في الشَّيءِ.

تفسير الآيات:

هَلْ أتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15).

أي: هل بلَغك –يا محمَّدُ– خَبَرُ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وما كان مِن أَمْرِه؟

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16).

أي: حينَ ناداه ربُّه سُبحانَه بالوادي المبارَكِ المطَهَّرِ المسَمَّى طُوًى.

كما قال تعالى: وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا [مريم: 52].

وقال سُبحانَه: فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى [طه: 11–12].

وقال عزَّ وجَلَّ: فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [القصص: 30].

اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17).

أي: قال اللهُ لِموسى: اذهَبْ إلى فِرعَونَ مَلِكِ مِصرَ؛ لأنَّه تجاوَزَ حدَّه في التَّكَبُّرِ والعُدوانِ والعِصْيانِ.

كما قال تعالى: اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [طه: 42 – 44].

وقال سُبحانَه: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ [القصص: 4].

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18).

أي: فقُلْ له: هل لك إلى أن تُطَهِّرَ نَفْسَك مِن دَنَسِ الكُفْرِ والمعاصي؟

كما قال تعالى: وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى [طه: 75-76].

وقال سُبحانَه: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى [الأعلى: 14-15].

وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19).

أي: قُلْ له: وهَلْ لك إلى أن أُرشِدَك وأَدُلَّك على خالِقِك ورازِقِك؛ فتَخشَى سَخَطَه وعَذابَه، بامتِثالِ أوامِرِه واجتنابِ نَواهيه؟

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20).

أي: فأرى موسى فِرعَونَ المُعجِزةَ الكُبرى الدَّالَّةَ على صِدْقِه.

كما قال الله تعالى: قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ [الأعراف: 106 - 108].

فَكَذَّبَ وَعَصَى (21).

أي: فكَذَّب فِرعَونُ بالحَقِّ الَّذي جاء به موسى، وعصى ما أمَرَه به مِن طاعةِ رَبِّه.

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22).

أي: ثمَّ تولَّى فِرعَونُ مُجتَهِدًا في محارَبةِ موسى، وصَدِّ النَّاسِ عن اتِّباعِه.

كما قال تعالى: فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى [طه: 60].

وقال سُبحانَه: قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ [الشعراء: 34 – 37].

فَحَشَرَ فَنَادَى (23).

أي: فجمَع فِرعَونُ قومَه وأتْباعَه، وخاطَبهم بصَوتٍ مُرتَفِعٍ.

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24).

أي: فقال فِرعَونُ: أنا رَبُّكم الأعلى، فلا أحَدَ فوقي، وكُلُّ رَبٍّ فهو دُوني!

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآَخِرَةِ وَالْأُولَى (25).

أي: فعاقَبَه اللهُ تعالى عُقوبةَ الآخرةِ بالنَّارِ، وعُقوبةَ الدُّنيا بالغَرَقِ.(41)

كما قال تعالى: فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ [الأعراف: 136].

وقال سُبحانَه: وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [القصص: 39–40].

---

(41) اختُلف في قوله: ﴿نكال الآخرة والأولى﴾ على أقوال: الأول: عقوبة كلمتيه: قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص: ٣٨].

الثاني: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

الثالث: فأخذه الله نكال الدنيا والآخرة.

الرابع: أنّ الأولى هي عصيانه ربّه وكفره به، والآخرة قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾.

الخامس: أخذه بأول عَمَلِه وآخره.

واختار ابنُ جرير (٢٤/ ٨٤) –مستندًا إلى القرآن، وأقوال السلف– أنّ المراد عقوبة كلمتيه كما في القول الأول، فقال: «يعني –تعالى ذِكْره– بقوله: ﴿فأخذه الله﴾ فعاقبه الله ﴿نكال الآخرة والأولى﴾ يقول: عقوبة الآخرة من كلمتيه، وهي قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾، والأولى قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص: ٣٨]، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر أقوال السلف على هذا، ثم ذكر بقية الأقوال، ولم يعلّق عليها.

ورجّح ابنُ كثير (١٤/ ٢٤٢) –مستندًا إلى القرآن– القول الثاني، وقال: «كما قال تعالى: ﴿وجَعَلْناهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إلى النّارِ ويَوْمَ القِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١]، هذا هو الصحيح في معنى الآية؛ أنّ المراد بقوله: ﴿نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى﴾ أي: الدنيا والآخرة، وقيل: المراد بذلك: كَلِمَتاه الأولى والثانية.

وقيل: كفْره وعصيانه.

والصحيح الذي لا شكَّ فيه الأول».

وقال تبارك وتعالى: وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [غافر: 45-46].

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26).

أي: إنَّ في ذلك العِقابِ لِفرعَونَ لَعِظَةً لِمَن يَخافُ اللهَ تعالى وعِقابَه.

كما قال تعالى: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ [هود: 102-103].

سُورةُ النَّازِعاتِ

الآيات (27–33)

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
ضُحَاهَا (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ
أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33)

غريب الكلمات:

سَمْكَهَا: أي: بِناءَها وسَقْفَها، وأصلُ (سمك): يدُلُّ على عُلُوٍّ.

فَسَوَّاهَا: أي: جَعَلَها مُسْتَوِيةَ الخَلْقِ مُعَدَّلةَ الشَّكْلِ، والتَّسويةُ: جَعْلُ الشَّيءِ سَواءً، أي: مُعَدَّلًا مُقَوَّمًا، وأصلُ (سوي): يدُلُّ على استِقامةٍ واعْتِدالٍ بيْنَ شيئَيْنِ.

وَأَغْطَشَ: أي: أظلَمَ، وأصلُ (غطش): يدُلُّ على ظُلْمةٍ.

دَحَاهَا: أي: بَسَطَها ومَدَّها مُسْتَوِيةً، وأصلُ (دحو): يدُلُّ على بَسطٍ وتمهيدٍ.

أَرْسَاهَا: أي: أثبَتَها، يُقالُ: رَسَا الشَّيءُ يَرْسُو: ثبَت، وأَرْساهُ غيرُه، وأصل (رسو): يدُلُّ على ثَباتٍ.

تفسير الآيات:

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27).

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ.

أي: أأنتم -أيُّها المكَذِّبونَ بالبَعْثِ- أقوى خَلْقًا أمِ السَّماءُ أقوى منكم؟ فالقادِرُ على خَلْقِ السَّماءِ وهي أعظَمُ منكم: قادِرٌ على إحيائِكم بعْدَ مَوتِكم.

كما قال الله تبارك وتعالى: أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس: 81-82].

وقال سُبحانَه: فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ [الصافات: 11].

وقال الله عزَّ وجَلَّ: لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ [غافر: 57].

بَنَاهَا.

أي: بنى اللهُ السَّماءَ، وجعَلَها سَقْفًا للأرضِ.

رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28).

أي: جَعَل اللهُ بناءَ السَّــماءِ عاليًا عن الأرضِ، فأتقَنَ بناءَها، فهي مُســتَوِيةٌ لا ارتِفاعَ أو انخفاضَ في أرجائِها، ولا فُطورَ فيها ولا شُقوق.(42)

كما قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا [الرعد: 2].

وقال سُبحانَه: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا [الأنبياء: 32].

وقال عزَّ وجلَّ: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ [الملك: 3].

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29).

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا.

أي: وجَعَل اللهُ ليلَ السَّماءِ مُظْلِمًا.

قال تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا [الشمس: 4].

(42) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٣٢) في قوله: ﴿فســواها﴾ احتمالين، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فَسَــوّاها﴾ يحتمل أن يريد: جعلها ملساء مستوية ليس فيها مرتفع ومنخفض، ويحتمل أن يكون عبارة عن إتقان خَلْقها، ولا يقصد معنى إملاس سطحها، والله تعالى أعلم كيف هي».

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا.

أي: وأضاء اللهُ نهارَ السَّماءِ بطُلوعِ شَمْسِها.

كما قال تعالى: وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا [الشمس: 3].

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (30).

أي: بَسَط اللهُ تعالى الأرضَ بعْدَ خَلْقِ السَّماءِ، ومَدَّها للسُّكنى فيها.(43)

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31).

أي: أخرَجَ اللهُ مِنَ الأرضِ البِحارَ والأنهارَ وعُيونَ الماءِ، وأخرج نَباتَها.

---

(43) اختُلف في قوله: ﴿بعد ذلك﴾ على قولين: الأول: أنّ الأرض دُحِيتْ من بعد خَلْق السماء.

الثاني: أنّ معناه: مع ذلك، وقالوا: الأرض خُلِقتْ ودُحِيتْ قبل السماء.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٩٤) –مستندًا إلى اللغة– القول الأول، فقال: «والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أنّ الله تعالى خَلَق الأرض، وقدّر فيها أقواتَها، ولم يَدْحُها، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأَخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها؛ أشبه لما دلّ عليه ظاهر التنزيل؛ لأنه –جلّ ثناؤه– قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ والمعروف من معنى» بعد «أنه خلاف معنى» قبل «، وليس في دَحْو الله الأرض بعد تسويته السماوات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خُلِقتْ بعد خَلْق السماوات؛ لأنّ الدَّحْو إنما هو البَسط في كلام العرب، والمدّ يقال منه: دحا يدحُو دَحْوًا، ودحيت أدحي دحيًا لغتان».

وقال ابنُ عطية (٨/ ٥٣٢): «وقوله تعالى: ﴿والأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾ متوجّه على أنّ الله تعالى خَلَقَ الأرض ولم يَدْحُها، ثم استوى إلى السماء وهي دُخان فخَلَقها وبناها، ثم دحا الأرض بعد ذلك».

ثم ذكر اختلاف السلف، وعلّق قائلًا: «والذي قلناه تترتب عليه آيات القرآن كلّها».

وبنحوه قال ابنُ كثير (٨/ ٣١٦).

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32).

أي: وثبَّتَ اللهُ الجبالَ، فلا تَضطَرِبُ الأرضُ وتَميدُ.

كما قال تعالى: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ [النحل: 15].

وقال سُبحانَه: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ [الأنبياء: 31].

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33).

أي: خَلَقَ اللهُ تعالى ذلك لِمَنفعَتِكم –أيُّها النَّاسُ– ولأنعامِكم مِن الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ، فتتمَتَّعونَ بذلك إلى حينٍ مِنَ الزَّمانِ.

قال تعالى: وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ [البقرة: 36].

سُورةُ النَّازِعاتِ

الآيات (34–41)

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)

غريب الكلمات:

الطَّامَّةُ: أي: القيامةُ والدَّاهِيةُ الَّتي لا تُستطاعُ، والحادِثةُ الَّتي تَطُمُّ على ما سِواها، أي: تَعلو وتَغلِبُ، مأخوذٌ مِن: طَمَّ الماءُ: إذا غَمَر الأشياءَ، وأصلُ (طمم): يدُلُّ على تَغطيةِ الشَّيءِ للشَّيءِ.

وَبُرِّزَتِ: أي: أُظْهِرتْ، وأصلُ (برز): ظُهورُ الشَّيْءِ وبُدُوُّه.

وَآثَرَ: أي: اختارَ وقَدَّم، وأصلُ (أثر) هنا: يدُلُّ على تقديمِ الشَّيءِ.

الْمَأْوَى: أي: المَثوى والمَسكَنُ والمقَرُّ، والمَأْوى: مَكَانُ كلِّ شَيْءٍ ومَرجِعُه الَّذي يَعودُ إليه ليلًا أو نهارًا؛ يُقالُ: أَوَى إلى كذا، أي: انضمَّ إليه، وأصلُ (أوى) هنا: يدُلُّ على التَّجمُّعِ.

الْهَوَى: أي: المَيْلِ إلى الشَّهوةِ، قيل: سُمِّيَ بذلك لأنَّه يَهْوِي بصاحِبِه في الدُّنيا إلى كلِّ داهيةٍ، وفي الآخرةِ إلى الهاوِيةِ، وقيل: الهوى أصلُه مُطلَقُ المَيلِ، وأصلُ (هوي): الخُلوُّ والسُّقوطُ؛ ولذلك يُقالُ للآراءِ الزَّائفةِ: أهواءٌ.

تفسير الآيات:

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34).

أي: فإذا جاءت المُصِيبةُ العُظْمى والدَّاهِيةُ الكُبْرى الَّتي شِدَّتُها وهَولُها فَوقَ كُلِّ خَطْبٍ ومُصيبةٍ.

قال تعالى: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ [القمر: 46].

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35).

أي: يومَ يتذكَّرُ الإنسانُ ما عَمِلَه في الدُّنيا مِن خيرٍ أو شَرٍّ.

كما قال تعالى: يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى [الفجر: 23].

وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36).

أي: وأُظهِرَت النَّارُ الَّتي اشتَدَّ توقُّدُها وأُبرِزَت للنَّاسِ، فيَرَوْنَها عِيانًا.

كما قال تعالى: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى [الفجر: 23].

وقال سُبحانَه وتعالى: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ [التكاثر: 6-7].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ [الشعراء: 91].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسـعودٍ رَضِـيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسـولُ اللهِ – ﷺ –: ((يُؤتَى بجَهَنَّمَ يومَئذٍ لها سَبعونَ ألْفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سَبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها)).(44)

فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37).

أي: فأمَّا مَن جاوَزَ حَدَّه فتمَرَّدَ واستكبَرَ عن طاعةِ اللهِ تعالى وعبادتِه.

وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38).

أي: وفَضَّلَ مَتاعَ الحياةِ الدُّنيا، وقدَّمَها على الآخِرةِ؛ إرضاءً لِهَواه، فعَمِلَ لدُنْياه، ولم يَعمَلْ لأُخْراه.

كما قال الله تبارك وتعالى: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى [الأعلى: 16–17].

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39).

أي: فإنَّ مَسْكَنَه ومُستَقَرَّه في الآخِرةِ: النَّارُ الشَّديدةُ التَّوَقُّدِ.

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يونس: 7–8].

---

(44) رواه مسلم (2842).

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40).

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ.

أي: وأمَّا مَن خافَ مَقامَه بيْن يَدَيِ اللهِ تعالى للحِســـابِ يومَ القيامةِ، فاتَّقاه بفِعْلِ أوامِرِه، واجتنابِ نَواهيه.

عن أبي هُريرةَ رَضِـــيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((سَـــبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه))، وذكَرَ منهم: ((ورَجُلٌ دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنصِـبٍ وجَمالٍ، فقال: إنِّي أخافُ اللهَ، ورجُلٌ ذكَرَ اللهَ خاليًا ففاضَتْ عَيْناه)).[45]

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى.

أي: ونهى نَفْسَه وزَجَرَها عن كُلِّ ما لا يُرضي اللهَ تعالى.

كما قال تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا [الكهف: 28].

---

(45) رواه البخاري (660)، ومسلم (1031).

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41).

أي: فإنَّ الجَنَّةَ تكونُ مَسْكَنه ومُستَقَرَّه في الآخِرةِ.

كما قال تعالى: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ [الرحمن: 46].

وقال سُــبحانَه: جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِــيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ [البينة: 8].

سُورةُ النَّازِعاتِ

الآيات (42–46)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43)

إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (45)

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا(46)

غريب الكلمات:

أَيَّانَ مُرْسَاهَا: أي: في أيِّ وَقتٍ وُقوعُها وقيامُها وثَباتُها واستِقرارُها؟ وأَيَّانَ: يُسأَلُ به عن الزَّمانِ المُستَقبَلِ، وأصلُ (رسو): يدُلُّ على ثُبوتٍ.

عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا: العَشِيُّ: مِن زَوالِ الشَّمسِ إلى الصَّباحِ، أو: آخِرُ النَّهارِ، وأصلُ (عشو): يدُلُّ على ظلامٍ، وقِلَّةِ وُضوحِ الشَّيءِ، والضُّحَى: أوَّلُ اليومِ، أو انبِساطُ الشَّمسِ وامتِدادُ النَّهارِ، وسُمِّيَ الوقْتُ به، وأَصْلُه يدُلُّ على بُروزِ الشَّيءِ.

تفسير الآيات:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42).

أي: يَسأَلُك المكَذِّبونَ بالبَعْثِ -يا محمَّدُ- عن مَوعِدِ القيامةِ، فيقولونَ: متى وَقتُ قيامِها؟

كما قال تعالى: يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ [الأحزاب: 63].

وقال سُبحانَه: يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ [الذاريات: 12].

وقال عزَّ وجَلَّ: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ [القيامة: 5-6].

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43).

أي: ليس مِن شأنِك مَعرِفةُ وَقتِ قيامِ السَّاعةِ، وليس ذلك إليك.

إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44).

أي: إلى رَبِّك -يا محمَّدُ- وَحْدَه مُنتهى عِلمِ السَّاعةِ، فلا يَعلَمُ مَوعِدَ إتيانِها سِواه.

كما قال تعالى: قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ [الأعراف: 187].

وقال سُبحانَه: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ [لقمان: 34].

وقال عزَّ وجَلَّ: إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ [فصلت: 47].

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (45).

أي: إنَّما أنت –يا محمَّدُ– مُكلَّفٌ بتحذيرِ مَن يَخشى قيامَ السَّاعةِ؛ فهو الَّذي ينتَفِعُ بذلك، فيَعمَلُ لها، ويَستَعِدُّ مِن أجْلِها، ولم تُكلَّفْ معرِفةَ وَقْتِها، أو إعلامَ النَّاسِ بمَوعِدِها.

كما قال تعالى: وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ [يونس: 101].

وقال سُبحانَه: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ [يس: 11].

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (46).

أي: كأنَّهم يومَ يَرَونَ القيامةَ لم يَعيشوا في الدُّنيا إلَّا وَقتًا قليلًا لا يتجاوَزُ مِقدارَ آخِرِ النَّهارِ أو أوَّلِه.

كما قال تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ [يونس: 45].

وقال سُبحانَه وتعالى: كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ [الأحقاف: 35].

وقال اللهُ عزَّ وجَلَّ: قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [المؤمنون: 112 – 114].

تَفْسِيرُ
سُورَةِ عَبَسَ

سُورةُ عَبَسَ

سُورةُ عَبَسَ

سُمِّيت هذه السُّورةُ سُورةَ (عَبَسَ).[46]

سُورةُ (عَبَسَ) مَكِّيَّةٌ، ونَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.[47]

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

حقيقةُ دَعوةِ القُرآنِ، وكرامةُ مَن ينتَفِعُ بها، وحَقارةُ مَن يُعرِضُ عنها.

---

(46) سُمِّيت بذلك؛ لافتِتاحِها بلَفظِ «عَبَسَ» في قَولِه تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (501/1).
قال الألوسي: (وتُسمَّى سورةَ الصَّاخَّةِ، وسورةَ السَّفَرةِ، وسُمِّيَتْ في غيرِ كتابٍ سورةَ الأعمى).
((تفسير الألوسي)) (241/15).
ويُنظر: ((جمال القراء وكمال الإقراء)) للسخاوي (ص: 92).
وقال ابن عاشور: (وكلُّ ذلك تسميةٌ بألفاظٍ وقعتْ فيها لم تقَعْ في غيرِها مِن السُّوَرِ، أو بصاحبِ القصَّةِ الَّتي كانت سببَ نُزولِها).
((تفسير ابن عاشور)) (101/30).

(47) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: الماوَرْديُّ، وابنُ عطيَّة، وابن الجوزي، والقرطبي، والبِقاعي.
يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (202/6)، ((تفسير ابن عطية)) (408/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (399/4)، ((تفسير القرطبي)) (211/19)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (156/3).

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- عِتابُ اللهِ تعالى لرَسولِه - ﷺ - عتابًا رقيقًا، على ما حَدَث منه مع ابنِ أمِّ مَكتومٍ الأَعمى.

2- الثَّناءُ على القُرآنِ، وأنَّه ذِكْرى ومَوعِظةٌ لِمَن عَقَل وتدبَّرَ.

3- إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى، بذِكرِ أصلِ نَشأةِ الإنسانِ، ونِعَمِ اللهِ عليه، وتَيسيرِ أسبابِ حَياتِه.

4- التَّذكيرُ بأهوالِ يومِ القيامةِ، وأحوالِ النَّاسِ فيه.

سُورةُ عَبَسَ

الآيات (1–16)

عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ
الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ
جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شَاءَ
ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ
(16)

غريب الكلمات:

عَبَسَ: أي: قَطَّبَ وَجْهَه، وقَبَضَ ما بيْنَ عينَيه، والعُبُوسُ: تَقطُّبُ الوَجهِ عندَ كراهيةِ أمرٍ، وأصلُ (عبس): يدُلُّ على تكَرُّهٍ.

وَتَوَلَّى: أي: أعرَضَ، والتَّولِّي إذا وُصِلَ بـ (عن) لفظًا، أو تقديرًا -كما هنا- اقتضَى معنَى الإعراضِ، وتَركِ القُربِ.

يَزَّكَّى: أي: يَتطَهَّرُ مِنَ الذُّنوبِ، وأصلُ (زكو): يدُلُّ على نَماءٍ، وزِيادةٍ، وطَهارةٍ.

الذِّكْرَى: أي: التَّذكيرُ والعِظَةُ، وأصلُ (ذكر): يدُلُّ على خِلافِ النِّسْيانِ.

تَصَدَّى: أي: تَتعَرَّضُ، وتُقبِلُ عليه.

تَلَهَّى: أي: تُعْرِضُ، وتتشاغلُ عنه بغَيْرِه، يُقالُ: لهيتُ عن الشَّيءِ، وتلهَّيْتُ عنه، إذا شُغِلْتَ عنه، وتركْتَه، وأصلُ (لهو) هنا: يَدُلُّ على شُغْلٍ عن شيءٍ بشيءٍ.

سَفَرَةٍ: السَّفَرةُ: هم الملائِكةُ الكِرامُ الكاتِبونَ، واحِدُهم سافِرٌ، يُقالُ: سَفَرْتُ: أي: كَتَبْتُ. ومنه قيل للكِتابِ: سِفْرٌ؛ لأنَّه يُبَيِّنُ الشَّيءَ ويُوضِّحُه. وقيل: هم الرُّسُلُ مِن الملائكةِ الَّذين يَسْفِرونَ بالوَحْيِ بيْن اللهِ ورُسُلِه، ومنه: سفيرُ القَومِ: الَّذي يَسعى بيْنَهم للصُّلحِ، وأصلُ (سفر): يدُلُّ على الانكِشافِ والجَلاءِ.

تفسير الآيات:

عَبَس وَتَوَلَّى (1).

سَبَبُ النُّزولِ:

عن مَعمَرٍ، عن قَتادةَ، عن أنسٍ -رَضِــيَ اللهُ عنه- في قَولِه: عَبَسَ وَتَوَلَّى، قال: ((جاء ابنُ أُمِّ مَكتومٍ إلى النَّبيِّ - ﷺ -، وهو يُكَلِّمُ أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ، فأعرَضَ عنه؛ فأنزل اللهُ عَبَسَ وَتَوَلَّى، فكان النَّبيُّ - ﷺ - بعْدَ ذلك يُكْرِمُه))، قال قَتادةُ: وأخبَرَني أنَسُ بنُ مالكٍ قال: رأَيْتُه يومَ القادسِــيَّةِ وعليه دِرعٌ، ومعه رايةٌ سَوداءُ، يعني: ابنَ أُمِّ مَكتومٍ.[48]

عَبَس وَتَوَلَّى (1).

أي: قَطَّبَ محمَّدٌ - ﷺ - وَجْهَه، وأعرَضَ غَضبًا.

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2).

أي: بسَبَبِ مَجيءِ الرَّجُلِ الأعمى إليه، وهو مَشغولٌ بدَعوةِ رَجُلٍ مِن أشرافِ قُرَيشٍ.

---

(48) أخرجه أبو يعلى (3123).
قال الوادعي في ((صحيح أسباب النزول)) (267): (رجالُه رجالُ الصَّحيحِ).
وأخرج الموقوفَ منه مِن طرُقٍ أخرى: الحارثُ في ((المسند)) (661)، وابنُ جرير في ((التفسير)) (218/24).
وثَّق رجالَ إسنادِه البوصيريُّ في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (104/5).

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3).

أي: وما يُدْرِيك -يا مُحَمَّدُ- لعَلَّ هذا الأعمى -الَّذي عَبَسْتَ وأعرَضْتَ عنه- يتزَكَّى بما يتعَلَّمُه مِنَ القُرآنِ منك؛ فيَتطَهَّرَ مِن ذُنوبِه.(49)

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4).

أي: أو لعَلَّه يَتذَكَّرُ ما غَفَل عنه؛ فيَتَّعِظَ ويَعتَبِرَ بما يَسمَعُ مِنَ القُرآنِ.

أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5).

أي: أمَّا الَّذي استَغْنى عن الإيمانِ والقُرآنِ بما لَه مِنَ المالِ والجاهِ.

كما قال تعالى: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى [الليل: 8 - 11].

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6).

أي: فأنت -يا مُحَمَّدُ- تتعَرَّضُ له، وتُقبِلُ عليه، وتجتَهِدُ في وَعْظِه؛ رجاءَ هِدايتِه للحَقِّ!

(49) قال ابنُ جرير (٢٤/ ١٠٥): «وقوله: ﴿وما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ يقول -تعالى ذِكره- لنبيّه محمد - ﷺ -: وما يدريك -يا محمد- لعل هذا الأعمى الذي عَبستْ في وجهه يزكى، يقول: يتطهر من ذنوبه».
ثم ذكر قول ابن زيد، ولم يعلق عليه.

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7).

أي: وأيُّ ضَـرَرٍ عليك –يا مُحَمَّدُ– إذا لم يُسْـلِمْ هذا الرَّجُلُ الَّذي اسـتغنى، ويتطَهَّرْ من كُفْرِهِ وذُنوبِه؟ فلا تُبَالِ به، ولا تَكتَرِثْ بشأنِه؛ فإنَّه لا يَضُرُّك إثمُه، وليس عليك إلَّا البَلاغُ.

كما قال تعالى: وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا [آل عمران: 176].

وقال سُبحانَه: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [النور: 54].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ [لقمان: 23].

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8).

أي: وأمَّا هذا الرَّجُلُ الأعمى الَّذي جاءك –يا مُحَمَّدُ– يَمْشي مُسْرِعًا مُجتَهِدًا في الوُصولِ إليك؛ طَلَبًا للعِلْمِ، وسَماعِ الحَقِّ.[50]

وَهُوَ يَخْشَى (9).

أي: والحالُ أنَّه يَخافُ اللهَ تعالى؛ لعِلْمِه بعَظَمتِه وشِدَّةِ عَذابِه.

(50) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٣٧) أنّ معنى: ﴿يسعى﴾ في الآية «أي: يمشي، وقيل المعنى: يَسْعى في شؤونه وأمر دينه وتقرّبه منك، وهو يَخْشى الله تعالى».

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10).

أي: فأنت -يا مُحمَّدُ- تُعْرِضُ عن هذا الرَّجُلِ الحَريصِ على الحَقّ، وتتشاغَلُ بدَعْوةِ ذلك الكافِرِ!

كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11).

أي: لا تَفعَلْ ما فعَلْتَ -يا مُحمَّدُ-؛ فليس الخَيرُ في الإعراضِ عن المؤمِنِ الحَريصِ على الحَقّ، والتَّشاغُلِ عنه بدعوةِ غيرِه مِن الكُفَّارِ المكابِرينَ؛ إنَّ آياتِ القُرآنِ تذكيرٌ للنَّاسِ جميعًا.(51)

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (12).

أي: فمَن شاء مِن النَّاسِ ذَكَر هذا القُرآنَ، فاتَّعَظَ واعتبَرَ وعَمِلَ بما فيه.

كما قال الله تعالى: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ [الكهف: 29].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ [الحاقة: 48-49].

وقال الله عزَّ وجَلَّ: إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا [المزمل: 19].

---

(51) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٣٨) اختلافًا في عود الضمير في قوله: ﴿إنها تذكرة﴾ الأول: إنّ هذه السورة.
الثاني: إنّ هذه المعتبة تذكرة لك، يا محمد.
الثالث: آيات القرآن.
كما في قول مقاتل.
ثم علّق على القول الثاني: «ففي هذا التأويل إجلال لمحمد - ﷺ -، وتأنيس له».
وذكر أنّ تعلق قوله تعالى: ﴿في صحف﴾ بقوله: ﴿تذكرة﴾ يؤيد أنّ التذكرة يراد بها جميع القرآن.

فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13).

أي: وهذا القُرآنُ الكريمُ مَكتوبٌ في صُحُفٍ مُكَرَّمةٍ عِندَ اللهِ تعالى.

مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14).

أي: وهي صُحُفٌ عاليةٌ، رفيعةُ المكانةِ والقَدْرِ، مُطَهَّرةٌ مِن كُلِّ دَنَسٍ وعَيبٍ.

قال سُبحانَه: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [البروج: 21-22].

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15).

أي: وهذه الصُّحُفُ المكتوبُ فيها القُرآنُ هي بأيدي طائِفةٍ مِنَ الملائِكة.[52]

---

(52) اختُلف في قوله: ﴿بأيدي سفرة﴾ على أقوال: الأول: الكَتَبَة.

الثاني: القرّاء.

الثالث: الملائكة.

الرابع: أصحاب النبي - ﷺ -.

ووجّه ابنُ عطية (٨/ ٥٣٨) القول الثالث، فقال: «قال ابن عباس - رضـي الله عنهما -: هم الملائكة؛ لأنهم كَتبة، يقال: سفرتُ أي: كتبتُ، ومنه السِّفْر».

ووجّه القول الرابع، فقال: «وقال وهْب بن مُنَبّه: هم الصحابة؛ لأن بعضهم يسفر إلى بعض في الخير والتعليم والتعلم».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٠٩) القول الثالث مستندًا إلى اللغة، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَن قال: هم الملائكة الذين يسفرون بين الله ورسله بالوحي.

وسفير القوم: الذي يسعى بينهم بالصلح، يقال: سفرت بين القوم: إذا أصلحت بينهم، ومنه قول الشاعر:

وما أدعُ السِّفارة بين قومي وما أمشي بغشٍّ إنْ مشيتُ».

ثم بيّن احتمال الآية للوجهين الآخرين، فقال: «وإذا وجّه التأويل إلى ما قلنا احتمل الوجه الذي قاله القائلون: هم الكَتَبَة.

والذي قاله القائلون: هم القرّاء.

كما قال تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [الواقعة: 77 – 79].

كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16).

أي: وأولئك الملائِكةُ ذَوُو خَلْقٍ حَسَنٍ شَريفٍ، وأخلاقٍ حَسَنةٍ جَميلةٍ، كثيرو الخَيرِ والطَّاعةِ والإحسانِ.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((مَثَلُ الَّذي يَقرَأُ القُرآنَ وهو حافِظٌ له: مع السَّفَرةِ الكِرامِ البَرَرةِ، ومَثَلُ الَّذي يقرَأُ وهو يَتعاهَدُه، وهو عليه شَديدٌ؛ فلَهُ أجْرانِ)).[53]

لأنّ الملائكة هي التي تقرأ الكتب، وتسفر بين الله وبين رسله».

وبنحو ترجيحه رجّح ابنُ عطية، وبيّن أنّ الصُّحف على هذا هي صحف عند الملائكة، أو هي اللوح، وذكر أنّ الصُّحف على القول الثاني هي المصاحف.

(53) رواه البخاري (4937) واللفظ له، ومسلم (798).

سُورةُ عَبَسَ

الآيات (17-32)

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ
(23) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا
(26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا
(30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)

غريب الكلمات:

نُطْفَةٍ: النُّطفةُ: الماءُ الصَّافي، ويُعَبَّرُ بها عن ماءِ الرَّجُلِ والمرأةِ، وأصلُ (نطف): يدُلُّ على نَدوةٍ وبَلَلٍ.

أَنْشَرَهُ: أي: أحياه وبعَثَه، وأصلُ (نشر): يدُلُّ على فَتحِ شَيءٍ وتشَعُّبِه.

وَقَضْبًا: القَضْبُ: هو العَلَفُ الرَّطْبُ الَّذي تأكُلُه الدَّوابُّ، وسُمِّيَ قَضْبًا؛ لأنَّه يُقضَبُ –أي: يُقطَعُ– بعدَ ظُهورِه مرَّةً بعدَ أُخرى، وقيل: هو كُلُّ ما يُؤكَلُ مِنَ النَّباتِ رَطْبًا، كالقِثَّاءِ والخِيارِ ونَحوِهما، وأصلُ (قضب): يدُلُّ على قَطعِ شَيءٍ.

وَحَدَائِقَ غُلْبًا: أي: بساتينَ عظيمةً غِلاظَ الأَشْجارِ، مُتكاثِفًا مُلْتَفًّا شَجَرُها بَعضُه في بَعضٍ، والغُلْبُ جمعُ غَلْباءَ. يُقالُ: حَديقةٌ غَلْباءُ: إذا كانت عَظيمةَ الشَّجَرِ مُلتَفَّةً، وأصلُها مِنَ الغَلَبِ بمعنى الغِلَظِ، يقال: غَلِبَ فُلانٌ، أي: غَلُظَ عُنُقُه، ويُقالُ: اغْلَوْلَبَت الأرضُ: إذا التفَّ عُشْبُها وتكاثَفَ.

وَأَبًّا: الأَبُّ: اسمٌ للكَلَأِ والعُشْبِ الَّذي تَرْعاه الأنعامُ، مأخوذٌ مِن أبَّ فُلانٌ الشَّيءَ: إذا قَصَده واتَّجه نَحْوَه، والكَلأُ والعُشْبُ يتَّجِهُ إليه الإنسانُ بدَوابِّه للرَّعْيِ. وقيل: الأَبُّ: المَرْعى المتهَيِّئُ للرَّعْيِ، مِن قَولِهم: أَبَّ لكذا، أي: تهيَّأَ.

تفسير الآيات:

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17).

أي: أُهلِكَ الإنسانُ، فما أشَدَّ كُفْرَه باللهِ الَّذي خَلَقَه![54]

كما قال تعالى: وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [إبراهيم: 34].

وقال سُبحانَه: وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ [الحج: 66].

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18).

أي: ما الشَّيءُ الَّذي خَلَقَ اللهُ الإنسانَ منه؟

كما قال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ [الطارق: 5 – 8].

---

(54) ذكر ابنُ جرير (٢٤/ ١١٠) في قوله: ﴿ما أكفره﴾ وجهين، فقال: «وفي قوله: ﴿أكفره﴾ وجهان: أحدهما: التعجب من كفره مع إحسان الله إليه، وأياديه عنده.
والآخر: ما الذي أكفره، أي: أي شيء أكفره».
وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٥٣٩).

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19).

أي: خَلَقَ اللهُ الإنسانَ مِن ماءٍ قَليلٍ –وهو المَنيُّ– فقدَّره في بَطْنِ أُمِّه أحوالًا وأطوارًا في الخَلْقِ؛ نُطفةً، ثمَّ عَلَقةً، ثمَّ مُضْغةً، إلى أنْ تمَّ خَلْقُه، وهَيَّأه لِما يَصلُحُ له، ويَليقُ به مِنَ الأعضاءِ الظَّاهِرةِ والباطِنةِ والأشكالِ.

كما قال سبحانَه وتعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: 12 – 14].

وقال سُبحانَه: وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا [الفرقان: 2].

وعن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: حَدَّثَنا رَسولُ اللهِ – ﷺ – وهو الصَّادِقُ المصدوقُ، قال: ((إنَّ أحَدَكم يُجمَعُ خَلْقُه في بَطْنِ أُمِّه أربعينَ يومًا، ثمَّ يكونُ عَلَقةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يكونُ مُضغةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يَبعَثُ اللهُ مَلَكًا، فيُؤمَرُ بأربَعِ كَلِماتٍ، ويُقالُ له: اكتُبْ عَمَلَه، ورِزْقَه، وأجلَه، وشَقِيٌّ أو سَعيدٌ، ثمَّ يُنفَخُ فيه الرُّوحُ)).(55)

---

(55) رواه البخاري (3208) واللَّفظُ له، ومسلم (2643).

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20).

أي: ثمَّ سهَّل اللهُ للإنسانِ طَريقَ الخُروجِ مِن بَطْنِ أُمِّه، وطريقَ الخَيرِ والشَّرِّ.[56]

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21).

أي: ثمَّ قَبَض اللهُ رُوحَ الإنسانِ عِندَ انقِضاءِ أجَلِه، وجَعَل له قَبْرًا يُوارى فيه بَدَنُه؛ إكرامًا له.

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22).

أي: ثُمَّ إذا شاء اللهُ بَعَثَ الإنسانَ بعْدَ مَوتِه، وأحياه يومَ القيامةِ؛ لِيُجازِيَه على أعمالِه.

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23).

أي: ليس الأمرُ كما يَظُنُّ الإنسانُ مِن أنَّه قد أدَّى جميعَ ما أوجَبَ اللهُ عليه؛ فلم يَقُمِ الإنسانُ بكُلِّ ما فَرَض اللهُ عليه؛ من العَمَلِ بطاعتِه، واجتِنابِ مَعصِيَتِه.

---

(56) اختُلف في السبيل الذي يسّره الله لها على قولين: الأول: أنها خروجه من بطن أمه.

الثاني: أنها طريق الحق والباطل.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١١٣) –مستندًا إلى السياق– القول الأول، وعلل ذلك بقوله: «وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أنّ الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته؛ خَلْقه، وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده».

ورجّح ابنُ كثير (١٤/ ٢٥٠) القول الثاني بقوله: «وهذا هو الأرجح».

ولم يذكر مستندًا.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24).

أي: فلْيَنظُرِ الإنسانُ إلى طَعامِه مُتَفكِّرًا في كيفيَّةِ خَلْقِه، وتيسيرِ أسبابِ حُصولِه.

كما قال تعالى: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ [الواقعة: 63 – 67].

أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25).

أي: أنَّا أنزَلْنا ماءَ المطَرِ مِنَ السَّحابِ إنزالًا كثيرًا.

قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا [النبأ: 14].

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26).

أي: ثمَّ شَقَقْنا الأرضَ بخُروجِ النَّباتِ.

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27).

أي: فأنبَتْنا في الأرضِ أنواعَ الحُبوبِ؛ كالقَمحِ، والشَّعيرِ، والذُّرَةِ، والأَرُزِّ، وغَيرِ ذلك.

وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28).

أي: وأنبَتْنا فيها العِنَبَ، وأنبَتْنا فيها قتًّا رطبًا تُعْلَفُ به البهائمُ.(57)

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29).

أي: وأنبَتْنا في الأرضِ الزَّيتونَ، وأشجارَ النَّخيلِ.

وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30).

أي: وأنبَتْنا في الأرضِ بَساتينَ ذاتَ أشجارٍ غَليظةٍ عَظيمةٍ.(58)

---

(57) رجّح ابنُ عطية (٨/ ٥٤١) -مستندًا إلى دلالة العقل- أنّ القَضْب: هو كلّ ما يُقضب ليأكله ابن آدم، فقال: «والذي أقوله إنّ القَضْب هنا: هو كلّ ما يُقضب ليأكله ابن آدم غضًّا من النبات؛ كالبقول والهليون ونحوه، فإنه من المطعوم جزء عظيم، ولا ذِكر له في الآية إلا في هذه اللفظة».

وانتقد -مستندًا إلى الدلالة العقلية- القول بأنه الفَصافِص بقوله: «وهذا عندي ضعيف؛ لأن الفَصافِص هي للبهائم، فهي داخلة في الأبّ».

ونقل تعليق ثعلب على قول مَن قال: هو الرَّطْبة.

فقال: «وقال أبو عبيدة: القَضْب: الرَّطْبة.

قال ثعلب: لأنه يُقضب كلّ يوم».

(58) قال ابنُ جرير (٢٤/ ١١٦): «وقوله: ﴿غلبًا﴾ يعني: غلاظًا.

ويعني بقوله: ﴿غلبًا﴾: أشجارًا في بساتين غلاظ.

والغُلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقبة من الرجال؛ ومنه قول الفرزدق:

عَوى فأثار أغْلَبَ ضَيْغَميًّا فويلَ ابن المَراغة ما استثارا؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في البيان عنه».

وذكر أقوال السلف على هذا.

وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31).

أي: وأنبَتْنا في الأرضِ أنواعَ الفَواكِهِ الَّتي يأكُلُها النَّاسُ؛ مِن ثِمارِ الأشـــجارِ، وأنبَتْنا فيها العُشْـــبَ والكَلَأَ مِمَّا تأكُله الأنعامُ.

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32).

أي: أنبَتَ اللهُ ذلك كُلَّه؛ مَنفَعةً لكم -أيُّها النَّاسُ- ولأنعامِكم مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ، تتمَتَّعونَ بها في الحياةِ الدُّنيا.

كما قال تعالى: وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ [البقرة: 36].

سُورةُ عَبَسَ

الآيات (33–42)

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ
وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ
مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ
الْفَجَرَةُ (42)

غريب الكلمات:

الصَّاخَّةُ: الصَّيحةُ الشَّديدةُ الَّتي تَصُخُّ الآذانَ، أي: تُصِمُّها مِن شِدَّتِها، وأصلُ الصخِّ: الطعنُ والصكُّ، فالصاخَّةُ: الصاكَّةُ لشِدَّةِ صوتِها للآذانِ، والمرادُ بها هنا: النَّفخةُ الثَّانيةُ، وهي اسمٌ مِن أسماءِ القيامةِ، وأصلُ (صخخ): يدُلُّ على صوتٍ.

مُسْفِرَةٌ: أي: مُشْرِقةٌ مُضِيئةٌ مُتهَلِّلةٌ؛ مِن أسفَرَ الصُّبحُ: إذا أضاءَ وأشرَقَ، وأصلُ (سفر): يدُلُّ على انكِشافٍ وجَلاءٍ.

مُسْتَبْشِرَةٌ: أي: فرحةٌ بما نالت مِن كرامةِ اللهِ، واستبشَرَ: إذا وجَد ما يُبشِّرُه مِن الفَرَحِ، وأصلُ (بشر): يدُلُّ على ظُهورِ الشَّيءِ مع حُسنٍ وجَمالٍ.

غَبَرَةٌ: أي: غُبارٌ وكُدُورةٌ، وأصلُ (غبر) هنا: يدُلُّ على لَونٍ مِنَ الألوانِ.

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ: أي: تَغْشاها وتَعْلوها ظُلْمةٌ وسَوادٌ، وأصلُ (رهق): يدُلُّ على غِشيانِ الشَّيءِ الشَّيءَ، وأصلُ (قتر): يدُلُّ على تجميعٍ وتضييقٍ.

الْفَجَرَةُ: جمعُ فاجِرٍ، وهو المُنْبَعِثُ في المعاصي والمحارِمِ، يُقالُ: فَجَرَ يَفْجُرُ فُجُورًا، فهو فاجِرٌ، والفُجورُ: الانبِعاثُ والتَّفَتُّحُ في المَعاصي، وأصلُ (فجر): التَّفَتُّحُ في الشَّيءِ. وقيل: الفَجْرُ: شقُّ الشيءِ شقًّا واسعًا، والفُجورُ: شقُّ سترِ الدِّيانةِ.

تفسير الآيات:

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33).

أي: فإذا جاءت القيامةُ بصَيحَتِها العَظيمةِ الَّتي تُصِمُّ الآذانَ؛ مِن شِدَّةِ صَوتِها.(59)

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34).

أي: يومَ يَهرُبُ كُلُّ إنسانٍ من أخيه؛ مِن شِدَّةِ الهَولِ!

كما قال تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ [المؤمنون: 101].

وقال سُبحانَه: وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ [المعارج: 10 – 14].

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35).

أي: ويَهرُبُ كُلُّ إنسانٍ كذلك مِن أُمِّه وأبيه، فلا يَنفَعُهما بشَيءٍ!

---

(59) قال ابنُ عطية (٨/ ٥٤٢): «الصَّاخَّةُ: اسم من أسماء القيامة، واللفظة في حقيقتها إنما هي لنفخة الصور التي تصخ الآذان، أي: تصمّها، ويُستعمل هذا اللفظ في الداهية التي يصمّ نبؤها الآذان لصعوبتها، وهذه استعارة، وكذلك في الصيحة المُفرطة التي يصعب وقعها على الأذن».

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36).

أي: ومِن زَوجتِه الَّتي كانت مُلازِمةً له في الدُّنيا، ومِن أبنائِه الَّذين هم أحَبُّ النَّاسِ إليه!

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37).

أي: لكُلِّ واحدٍ مِن أولئك الأقرِباءِ يومَ القيامةِ أَمْرٌ عظيمٌ يُهِمُّه ويَكفيه، فيَشغَلُه عن النَّظَرِ في أمْرِ غَيْرِه.

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((تُحشَرونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا،[60] فقالت امرأةٌ: أيُبصِرُ أو يَرى بَعْضُنا عورةَ بَعْضٍ؟! قال: يا فُلانةُ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ!)).[61]

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38).

أي: وُجوهُ المُؤمنينَ في ذلك اليَومِ مُضِيئةٌ مُشرِقةٌ.

---

(60) الغُرْلُ: معناه: غيرُ مختونينَ، جمعُ أَغْرَل، وهو: الَّذي لم يُختَنْ وبَقِيَت معه غُرْلتُه، وهي قُلْفتُه، وهي الجِلدةُ الَّتي تُقطَعُ في الختانِ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (193/17).
(61) أخرجه مِن طُرُقٍ: الترمذيُّ (3332) واللَّفظُ له، والنَّسائيُّ في ((السنن الكبرى)) (11647).
قال الترمذي: (حَسَنٌ صحيحٌ)، وكذا قال الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3332).
وصَحَّح إسنادَه على شرطِ الشَّيخَينِ الحاكِمُ في ((المستدرك)) (2995).

ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39).

أي: تَضحكُ سُرورًا، وتفرَحُ مُستبشِرةً.

كما قال تعالى: فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا [الإنسان: 11].

وقال سُبحانَه: وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا [الانشقاق: 9].

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40).

أي: ووُجوهُ الكافِرينَ يومَ القيامةِ يَعْلوها غُبارٌ.

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41).

أي: تَغْشاها ظُلْمةٌ وسَوادٌ.

كما قال تعالى: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ [آل عمران: 106].

وقال سُبحانَه: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [يونس: 26-27].

أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42).

أي: أولئك هم الكَفَرةُ الَّذين لم تُؤمِنْ قُلوبُهم بالحَقِّ، الفَجَرةُ الَّذين كانوا يعمَلونَ السَّــيِّئاتِ مُتجرِّئينَ على إتيانِ المحَرَّماتِ.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ التَّكويرِ

سُورةُ التَّكويرِ

سُورةُ التَّكويرِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ: (التَّكويرِ).[62]

وسُمِّيَتْ أيضًا بسورةِ (إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ): فعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((مَن سَرَّه أن يَنظُرَ إلى يومِ القيامةِ كأنَّه رَأْيُ عَيْنٍ فلْيَقرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)).[63]

فضائل السورة وخصائصها:

مَن قَرَأها فكأنَّه يَنظُرُ إلى يومِ القيامةِ رَأْيَ عَينٍ:

---

(62) سُمِّيَت بذلك؛ لافتِتاحِها بقَولِ اللهِ عزَّ وجَلَّ: كُوِّرَتْ، ولم يَرِدْ هذا اللَّفظُ في سُورةٍ سِواها.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (503/1).

قال ابن عاشور: (وأكثرُ التَّفاسيرِ يُسَمُّونَها سورةَ «التَّكْوِيرِ»، وكذلك تَسْمِيَتُها في المصاحِفِ، وهو اخْتِصارٌ لِمَدْلولِ كُوِّرَتْ).

((تفسير ابن عاشور)) (139/30).

(63) أخرجه الترمذيُّ (3333)، وأحمدُ (4806).

صحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3333)، وجوَّدَه ابنُ حجر في ((فتح الباري)) (564/8)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (96/8)، وحسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((مسند أحمد)) (424/8).

كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما المتقدِّمِ.

سورةُ التَّكويرِ مَكِّيَّةٌ، ونقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرين.(64)

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

بيانُ أحوالِ القيامةِ، وأهوالِها.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- ذِكرُ أهوالِ يومِ القيامةِ.

2- التَّأكيدُ على أنَّ هذا القُرآنَ الكَريمَ مِن عندِ اللهِ تعالى، وليس مِن كَلامِ البَشَرِ، وذِكرُ صِفةِ المَلَكِ الَّذي يحمِلُه، والنَّبِيِّ الَّذي يتلَقَّاه، وإثباتُ نُبُوَّتِه.

3- بيانُ أنَّ القُرآنَ عِظَةٌ وذِكْرى لِمَن أراد الهِدايةَ.

4- تَقريرُ أنَّ مَشيئةَ العَبدِ تابِعةٌ لِمَشيئةِ الرَّبِّ سُبحانَه وتعالى.

(64) ممَّن نقَلَ الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجوزيِّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعيُّ.
يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (414/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (405/4)، ((تفسير القرطبي)) (226/19)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (160/3).

سُورةُ التَّكويرِ

الآيات (1–14)

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)

غريب الكلمات:

كُوِّرَتْ: أي: لُفَّت كما تُلَفُّ العِمامةُ، فذَهَب ضَـــوؤُها، والتَّكويرُ: تلفيفٌ على جِهةِ الاســـتِدارةِ، كتَكويرِ العِمامةِ، وأصلُ (كور): يدُلُّ على دَورٍ وتجَمُّعٍ.

انْكَدَرَتْ: أي: تناثَرَتْ مِنَ السَّماءِ، وسَقَطَت على الأرضِ، وأصلُ (كدر) هنا: يدُلُّ على حَرَكةٍ.

الْعِشَـارُ عُطِّلَتْ: أي: النُّوقُ الحوامِلُ الَّتي قد أتَى عليها عَشَـرةُ أشـهُرٍ مِن حَمْلِها: سُـيِّبَت وأُهمِلَت وتُرِكَت بلا راعٍ، وأصلُ (عطل): يدُلُّ على خُلُوٍّ وفَراغٍ.

سُجِّرَتْ: أي: أُوقِدَت فصارت نارًا تَضطَرِمُ. وقيل: مُلِئَتْ ونفَذ بعضُها إلى بعضٍ، فصارَتْ بحرًا واحِدًا مملوءًا. وأصلُ (سجر) على القولِ الأوَّلِ: الإيقادُ، وعلى القولِ الثَّاني: المَلْءُ.

الْمَوْءُودَةُ: هي الجاريةُ المدفونةُ حَيَّةً، سُمِّيَت بذلك لِما يُطرَحُ عليها مِن التُّرابِ فيَؤُودُها، أي: يُثقِلُها حتَّى تموتَ، وكان بعضُ العَرَبِ يَدفِنُ البناتِ حَيَّةً؛ مَخافةَ العارِ والحاجةِ! وأصـــلُ (وأد): يدُلُّ على إثقالِ شَيءٍ بشَيءٍ.

كُشِطَتْ: أي: نُزِعَت وطُوِيَت وقُلِعَت، والكَشْطُ: قَلْعٌ عن شِدَّةِ التِزاقٍ، وأصلُ (كشط): يدُلُّ على تَنحيةِ شَيءٍ وكَشْفِه.

سُعِّرَتْ: أي: أُوقِدَت، وأصلُ (سعر): يدُلُّ على اشتِعالِ شَيءٍ واتِّقادِه.

أُزْلِفَتْ: أي: قُرِّبَت، وأصلُ (زلف): يدُلُّ على تقَدُّمٍ في قُربٍ إلى شَيءٍ.

تفسير الآيات:

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1).

أي: إذا لُفَّت الشَّمسُ وجُمِعَت، وطُوِيَ بَعْضُها على بَعضٍ؛ فذَهَب ضَوؤُها.(65)

(65) في قوله: ﴿كورت﴾ قولان: الأول: ذهب ضوؤها.
الثاني: رُمي بها.
وقد جمع بينهما ابنُ جرير (٢٤/ ١٣١) مستندًا إلى اللغة، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يُقال: ﴿كورت﴾ كما قال الله –جلّ ثناؤه–، والتكوير في كلام العرب: جَمْع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفّها على الرأس، وكتكوير الكارة، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، ولفّها.
وكذلك قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ إنما معناه: جُمع بعضها إلى بعض، ثم لُفّتْ فرُمي بها، وإذا فُعل ذلك بها ذهب ضوؤها.
فعلى التأويل الذي تأولناه وبيّناه لكلا القولين اللذين ذكرتُ عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كُوّرتْ ورُمي بها: ذهب ضوؤها».
وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٥٤٤):: «وتكوير الشمس: هو أن تدار ويُذهب بها إلى حيث شاء الله كما يدار كور العمامة، وعبّر المفسِّرون عن ذلك بعبارات؛ فمنهم مَن قال: ذهب نورها.
ومنهم مَن قال: رُمي بها.
قاله الربيع بن خثيم.
وغير ذلك مما هو أشياء تابعة لتكويرها».

عن أبي هُرَيرةَ رَضِـــيَ اللهُ عنـه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قـال: ((الشَّـــمسُ والقَمَرُ مُكَوَّرانِ[66] يومَ القيامةِ)).[67]

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2).

أي: وإذا النُّجومُ تَهاوَتْ وتَساقَطَت مِن مَواضِعِها وتناثَرَت.[68]

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3).

أي: وإذا الجِبالُ سُيِّرَت عن وَجْهِ الأرضِ بَعْدَ قَلْعِها مِن أماكِنِها.

---

(66) مُكوَّرانِ: أي: مَطويَّانِ، ذاهِبا الضَّوءِ.

وقيل: يُلَفَّانِ ويُجْمَعانِ، ويُلْقَيانِ في النَّارِ.

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (208/4)، ((عمدة القاري)) للعيني (120/15).

قال القَسْـطَلَّانِي: (لأنَّهما عُبِدا مِن دونِ الله، وليسَ المرادُ مِن تكويرِهما فيها تعذيبَهما بذلك، لكنَّه زيادةُ تَبكيتٍ لِمَن كان يَعبُدُهما في الدُّنيا؛ لِيَعْلَموا أنَّ عبادتَهم لهما كانتْ باطِلةً).

((إرشاد الساري)) (259/5).

(67) رواه البخاري (3200).

(68) بيّن ابنُ جرير (٢٤/ ١٣٢) أنّ قوله: ﴿انكدرت﴾ يعني: تناثرت وتســاقطت، فقال: «وقوله: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ يقول: وإذا النجوم تناثرتْ مِن السماء فتساقطتْ، وأصل الانكدار: الانصباب، كما قال العجاج:

أبصر خربان فضاء فانكدر

يعني بقوله: انكدر: انصب».

وذكر أقوال السلف على ذلك، ثم ذكر قول ابن عباس أنّ ﴿انكدرت﴾ معناه: تغيَّرتْ، ولم يعلّق عليه.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٥٤٥) على قول ابن عباس، فقال: «وقال ابن عباس: ﴿انكَدَرَتْ﴾: تغيَّرتْ، من قولهم: ماء كدر، أي: متغير اللون».

كما قال تعالى: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً [الكهف: 47].

وقال سُبحانَه: وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا [النبأ: 20].

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4).

أي: وإذا النُّوقُ الحوامِلُ الَّتي قد مَرَّ على حَمْلِها عَشَرةُ أشهُرٍ قد تَرَكها أصحابُها، وانشغَلوا عنها مع شِدَّةِ نَفاستِها لَدَيهم؛ من شِدَّةِ أهوالِ ذلك اليَومِ.[69]

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5).

أي: وإذا الحَيواناتُ البَرِّيَّةُ الَّتي لا تَأنَسُ بأحَدٍ قد بعَثَها اللهُ فجُمِعَت يومَ القيامةِ.[70]

---

(69) ذكر ابنُ كثير (١٤/ ٢٦٠) عبارات السلف في قوله: ﴿عطلت﴾، ثم علّق قائلًا: «والمعنى في هذا كله متقارب».
وبيّن أنّ العِشار هي النُّوق الحوامل، كما جاء في أقوال السلف، ثم ذكر فيها عدة أقوال أخر، فقال: «وقد قيل في العِشار: إنها السحاب يُعطّل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا.
وقد قيل: إنها الأرض التي تعشر.
وقيل: إنها الديار التي كانت تُسكن، تُعطَّل لذهاب أهلها.
حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة، ورجّح أنها الإبل.
وعزاه إلى أكثر الناس».
ثم علّق قائلًا: «قلتُ: بل لا يُعرف عن السلف والأئمة سواه».

(70) اختُلف في قوله: ﴿حشرت﴾ على أقوال: الأول: ماتت: الثاني: جُمعت.
الثالث: اختلطت.
وقد جمع ابنُ جرير (٢٤/ ١٣٧) بين القول الأول والثاني مستندًا إلى اللغة، والنظائر، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ مَن قال: معنى ﴿حشرت﴾: جُمعت، فأُميتت.

كما قال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: 38].

وعن أبي هُريرةَ رَضِــيَ اللهُ عنه، أنَّ رَســولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((لَتُؤَدَّنَّ الحُقوقُ[71] إلى أهلِها يومَ القيامةِ، حتَّى يُقادَ للشَّاةِ الجَلْحاءِ مِن الشَّاةِ القَرْناءِ).[72]

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6).

أي: وإذا البِحارُ صارَتْ بحرًا واحدًا، ومُلِئَت، وأُوقِدَت نارًا.[73]

لأنّ المعروف في كلام العرب من معنى الحشْــر: الجمع، ومنه قول الله: ﴿والطير محشــورة﴾ [ص: ١٩] يعني: مجموعة، وقوله: ﴿فحشر فنادى﴾ [النازعات: ٢٣]، وإنما يُحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر مِن تأويله، لا على الأنكر المجهول».

(71) لَتُؤَدَّنَّ: بفتحِ الدَّالِ المُشَدَّدة، وفي بعضِ النُّسخ بضَمِّها؛ فقولُه: (الحُقوقُ): بالرَّفع على الأوَّلِ، وبالنَّصبِ على الثَّاني.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للقاري (3202/8).

(72) الجَلْحاء هي التي لا قرنَ لها.

والقَرْناء: هي الَّتي لها قَرْنٌ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (137/16)، ((شرح المصابيح)) لابن المَلَك (361/5).

رواه مسلم (2582).

(73) اختُلف في قوله: ﴿سجرت﴾ على أقوال: الأول: أي: اشتعلتْ نارًا وحميتْ.

الثاني: أي: فاضتْ.

الثالث: أي: ذهب ماؤها.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٤٠) –مستندًا إلى النظائر، وإلى اللغة– أنّ المعنى: «مُلئتْ حتى فاضــتْ، فانفجرتْ وســالتْ كما وصفها اللهُ به في الموضع الآخر، فقال: ﴿وإذا البحار فجرت﴾ [الانفطار: ٣]، والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء: ماء مسجور، ومنه قول لبيد:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وصَدَّعا مَسْجُورةً مُتَجاوِرًا قُلَّامُها

ويعني بالمسجورة: المملوءة ماء».

كما قال تعالى: وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ [الطور: 6].

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7).

أي: وإذا النَّاسُ قد قُرِنَ كُلُّ واحِدٍ مِنهم بمَن هو مِثْلُه في الخَيرِ والشَّرِّ.(74)

كما قال تعالى: احْشُـــرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ [الصافات: 22–23].

وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9).

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٤٦) هذه الأقوال، ثم علّق قائلًا: «ويحتمل أن يكون المعنى: مُلكتْ، وقُيِّد اضـــطرابها حتى لا تخرج على الأرض بسبب الهول، فتكون اللفظة مأخوذة من ساجور الكلب».

(74) اختُلف في قوله: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ على أقوال: الأول: أُلحِق كلّ إنسان بشكله، وقُرِن بين الضرباء والأمثال.

الثاني: عني بذلك: أنّ الأرواح رُدَّتْ إلى الأجساد، فزُوِّجتْ بها، أي: جُعلتْ لها زوجًا.

الثالث: زُوِّجتْ أنفس المؤمنين الحُور العين، وأنفس المشركين الشياطين.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٥٤٧) على القول الأول بقوله: «وفي الآية على هذا حضٌّ على دليل الخير، فقد قال – عليه السـلام –: «المرء مع من أحب».

وقال: «فلينظر أحدكم مَن يُخالِل».

وقال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]».

ورجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٤٤) –مســـتندًا إلى النظائر– القول الأول، وهو قول عمر وغيره، فقال: «وأولى التأويلين في ذلك بالصـــحة: الذي تأوله عمر بن الخطاب؟؛ للعلّة التي اعتل بها، وذلك قول الله –تعالى ذِكره–: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧]، وقوله: ﴿احْشُـرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصـافات: ٢٢]، وذلك لا شـك الأمثال والأشكال في الخير والشر، وكذلك قوله: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ بالقرناء والأمثال في الخير والشر».

ولم يذكر ابنُ القيم (٣/ ٢٥٦ – ٢٥٧) غير القول الأول والثالث، ورجّح الأول مستندًا إلى قول النبي – ﷺ –: «لا يحب المرء قومًا إلا حُشِر معهم».

ثم علّق على القول الثالث بقوله: «وهو راجع إلى القول الأول».

أي: وإذا البِنتُ الَّتي دُفِنَت في التُّرابِ حَيَّةً قد سُئِلَت عن الذَّنبِ الَّذي استحَقَّتْ به القَتْلَ!

كما قال تعالى: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [النحل: 58–59].

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10).

أي: وإذا صُحُفُ أعمالِ النَّاسِ الَّتي طُوِيَت بعدَ مَوتِهم قد فُتِحَت لهم، فيَطَّلِعُ كُلُّ أحَدٍ فيها على عَمَلِه.

كما قال تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الإسراء: 13–14].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ [الحاقة: 19].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ [الحاقة: 25].

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11).

أي: وإذا السَّماءُ نُزِعَت مِن مَكانِها، وجُذِبتْ، وقُلِعَت بقُوَّةٍ وسُرعةٍ، وأُزِيلَتْ.

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12).

أي: وإذا النَّارُ الشَّديدةُ التَّأجُّجِ قد أُحمِيَت لأهْلِها، واشتَدَّ توَقُّدُها ولَهيبُها.

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13).

أي: وإذا الجَنَّةُ قد قُرِّبَت وأُدنِيَت لأهْلِها.

كما قال تعالى: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ [ق: 31].

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14).

أي: إذا وَقَعَت تلك الأُمورُ المَهُولةُ المُفزِعةُ عَلِمَت وتيَقَّنَت حينَئِذٍ كُلُّ نَفْسٍ ما أحضَرَتْه مِن خيرٍ أو شَرٍّ عَمِلَتْه في الدُّنيا.

كما قال تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا [آل عمران: 30].

وقال سُبحانَه: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ [الانفطار: 5].

وقال عزَّ وجلَّ: هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ [يونس: 30].

سُورةُ التَّكويرِ

الآيات (15–29)

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا
تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ
أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26) إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ (29)

غريب الكلمات:

بِالْخُنَّسِ: أي: النُّجومِ الَّتي تختفي في النَّهارِ فلا تُرى، والخُنوسُ: الانقِباضُ والاستِخفاءُ، تقول: خَنَس مِن بيْنِ القَومِ، وانْخَنَسَ، أي: انقَبَض واستَخْفى، وأصلُ (خنس): يدُلُّ على استِخفاءٍ وتَستُّرٍ.

الْجَوَارِ: أي: الَّتي تَجري في فَلَكِها بسُرعةٍ، جَمعُ جاريةٍ؛ مِنَ الجَرْيِ: وهو المَرُّ السَّريعُ.

الْكُنَّسِ: أي: النُّجومِ الَّتي تَكنِسُ -تَستَتِرُ- في أبراجِها في السَّماءِ؛ مِن: كَنَس الوَحْشُ: إذا دَخَل كِناسَه، وهو بَيتُه الَّذي يأوي إليه، وأصلُ (كنس): يدُلُّ على استِخفاءٍ.

عَسْعَسَ: أي: وَلَّى وذَهَب وأدبَرَ، أو: أقبَلَ بظَلامِه، فهو مِن الأضْدادِ، وعَسْعَسَ: مقلوبٌ عن «سَعْسَعَ»: إذا مَضَى، وأصلُ (سعع): يدُلُّ على ذَهابِ الشَّيءِ.

تَنَفَّسَ: أي: أضاءَ وأسفَرَ وانتَشَر ضَوؤُه وامتدَّ وتتابَع، وأصلُ (نفس): يدُلُّ على خُروجِ النَّسيمِ كيف كان، مِن ريحٍ أو غيرِها.

مَكِينٍ: أي: وَجيهٍ عِندَ اللهِ تعالى؛ مِن: مَكُنَ مَكانةً: إذا عَلَت رُتبتُه عندَ غَيرِه، وأصلُ (مكن): يدُلُّ على الموضِعِ الحاوي للشَّيءِ.

بِالْأُفُقِ: أي: الأُفُقِ الأعلى مِن ناحيةِ المَشرِقِ حيثُ تَطلُعُ الشَّمسُ، والأُفُق: ناحِيةُ السَّماءِ، وأصلُ (أفق): يدُلُّ على تَباعُدِ ما بيْنَ أطرافِ الشَّيءِ واتِّساعِه.

بِضَنِينٍ: أي: ببَخيلٍ، والضِّنَّةُ: البُخلُ بالشَّيءِ النَّفيسِ، وأصلُ (ضنن): يدُلُّ على بُخلٍ بالشَّيءِ.

رَجِيمٍ: أي: مَلْعُونٍ مَطْرُودٍ، والرَّجمُ: اللَّعنُ والطَّردُ والإبعادُ، وأصلُ الرَّجمِ: الرَّميُ بالحِجارةِ.

تفسير الآيات:

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15).

أي: فأُقسِمُ بالنُّجومِ العَظيمةِ الَّتي تختَفي وتَغيبُ.

الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16).

أي: الَّتي تَجري في السَّماءِ وتَسْتَتِرُ.[75]

---

(75) اختُلف في قوله: ﴿الخنس الجواري الكنس﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنها هي النجوم.

الثاني: أنها بقر الوحش التي تَكنس في كناسها.

الثالث: أنها الظباء.

وعلّق ابنُ القيم (٣/ ٢٥٧ - ٢٥٩ بتصرف) على القول الأول، فقال: «ومعنى تَخنس على هذا القول: تتأخّر عن البصر، وتتوارى عنه بإخفاء النهار لها.

وفيه قول آخر: وهو أنّ خُنوسها رجوعها، وهي حركتها الشرقية، فإنّ لها حركتين، حركة بفعلها، وحركة بنفسها، فخُنوسها حركتها بنفسها راجعة، وعلى هذا فهو قسم بنوع من الكواكب، وهي السيارة.

وهذا قول الفراء.

وفيه قول ثالث: وهو أنّ خُنوسها وكُنوسها اختفاؤها وقت مغيبها، فتغيب في مواضعها التي تغيب فيها.

وهذا قول الزجاج».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٥٨ بتصرف) كلا القولين مستندًا إلى اللغة، والعموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذِكْره- أقسم بأشياء تَخنس أحيانًا، أي: تغيب، وتجري أحيانًا وتكنس أخرى، وكُنوسها: أن تأوي في مكانسها، والمكانس عند العرب: هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء...

وأما الدلالة على أنّ الكناس قد يكون للظباء فقول أوس بن حجر:

ألم ترَ أنّ الله أنزلَ مُزْنَة وعُفْرُ الظِّباء في الكِناس تَقَمَّع

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17).

فالكناس في كلام العرب ما وصفت، وغير منكر أن يُستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أنّ المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء؛ فالصواب أن يعمّ بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحيانًا والجري أخرى، والكنوس بآنات على ما وصف –جلّ ثناؤه– من صفتها».

ورجّح ابنُ القيم –مستندًا إلى الدلالة العقلية– القول الأول، فقال: «أقسم سبحانه بالنجوم في أحوالها الثلاثة؛ من طلوعها، وجريانها، وغروبها.

هذا قول علي وابن عباس وعامة المفسرين وهو الصواب؛ إذ لما كان للنجوم حال ظهور وحال اختفاء وحال جريان وحال غروب أقسم سبحانه بها في أحوالها كلّها، ونبّه بخنوسها على حال ظهورها؛ لأنّ الخُنوس هو الاختفاء بعد الظهور، ولا يُقال لِما لا يزال مختفيًا أنه قد خنس، فذكر سبحانه جريانها وغروبها صريحًا وخُنوسها وظهورها، واكتفى من ذكر طلوعها بجريانها الذي مبدؤه الطلوع، فالطلوع أول جريانها.

فتضمّن القسم طلوعها، وغروبها، وجريانها، واختفاءها، وذلك من آياته ودلائل ربوبيته».

ثم انتقد –مستندًا إلى السياق، وظاهر القرآن، والدلالة العقلية، واللغة– القولين الآخرين من وجوه: الأول: أنّ هذه الأحوال في الكواكب السيارة أعظم آية وعبرة.

الثاني: اشتراك أهل الأرض في معرفته بالمشاهدة والعيان.

الثالث: أنّ البقر والظباء ليست لها حالة تختفي فيها عن العيان مطلقًا، بل لا تزال ظاهرة في الفلوات.

الرابع: إنّ الذين فسّروا الآية بذلك قالوا ليس خنوسها من الاختفاء.

قال الواحدي: هو من الخَنَس في الأنف، وهو تأخر الأرنبة وقِصر القصبة، والبقر والظباء أنوفهنّ خُنّس، ومعلوم أنّ هذا أمر خفيٌّ يحتاج إلى تأمل، وأكثر الناس لا يعرفونه، وآيات الرّبّ التي يُقسم بها لا تكون إلا ظاهرة جليّة يشترك في معرفتها الخلائق.

الخامس: أنّ كُنوسها في أكنّتها ليس بأعظم من دخول الطير وسائر الحيوانات في بيته الذي يأوي فيه ولا أظهر منه حتى يتعين للقسم.

السادس: أنه لو كان جمعًا للظبي لقال الخُنس بالتسكين؛ لأنه جمع أخنس، فهو كأحمر وحمر، ولو أريد به جمع بقرة خنساء لكان على وزن فعلاء أيضًا كحمراء وحمر، فلما جاء جمعه على فُعّل –بالتشديد– استحال أن يكون جمعًا لواحد من الظباء والبقر، وتعيّن أن يكون جمعًا لخانس؛ كشاهد وشهد، وصائم وصوم، وقائم وقوم، ونظائرها.

السابع: أنّ اقتران القسم بالليل والصبح يدل على أنها النجوم، وإلا فليس باللائق اقتران البقر والغزلان والليل والصبح في قسم واحد.

الثامن: أنّ الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية للسالكين، ورجوم للشياطين، وبين المُقسم عليه وهو القرآن الذي هو هدى للعالمين وزينة للقلوب وداحض لشبهات الشيطان أعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن".

أي: وأُقسِمُ باللَّيلِ إذا أقبَلَ بظَلامِه، وإذا أدبَرَ.[76]

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18).

أي: وأُقسِمُ بالصُّبحِ إذا أقبَلَ وتَبَيَّنَ ضَوؤه.

---

(76) اختُلف في قوله: ﴿والليل إذا عسعس﴾ على قولين: الأول: أدبر.

الثاني: أقبل بظلامه.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٦١ - ١٦٢) -مستندًا إلى دلالة العقل واللغة- القول الأول، فقال: «وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول مَن قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ فدلّ بذلك على أنّ القسم بالليل مدبرًا، وبالنهار مقبلًا، والعرب تقول: عَسعس الليل.

وسعسع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير».

وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٥٥٠).

وكذا ابنُ القيم (٣/ ٢٥٩ - ٢٦٠) مستندًا إلى السياق، وإلى ظاهر القرآن، فقال: «والأحسن أنْ يكون القَسم بانصرام الليل وإقبال النهار؛ فإنه عقيبه مِن غير فصل، فهذا أعظم في الدلالة والعبرة، بخلاف إقبال الليل وإقبال النهار، فإنه لم يُعرف القَسم في القرآن بهما، ولأنّ بينهما زمنًا طويلًا، فالآية في انصرام هذا ومجيء الآخر عقيبه بغير فصل أبلغ، فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وإدباره، وحالة قوة هذا وتنفّسه، وإقباله يطرد ظلمة الليل بتنفّسه، فكلما تنفّس هرب الليل وأدبر بين يديه، وهذا هو القول».

ورجّح ابنُ كثير (١٤/ ٢٦٩ - ٢٧٠) -مستندًا إلى الدلالة العقلية، والنظائر- القول الثاني، فقال: «وعندي أنّ المراد بقوله: ﴿عسعس﴾ إذا أقبل، وإن كان يصحّ استعماله في الإدبار، لكن الإقبال هاهنا أنسب؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قال: ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى﴾ [الليل: ١ - ٢]، وقال: ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ [الضحى: ١ - ٢]، وقال ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وغير ذلك من الآيات».

ثم قال: «وقال كثير من علماء الأصول: إنّ لفظة ﴿عسعس﴾ تُستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما».

وبنحوه وجّهه ابنُ القيم.

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19).

أي: إنَّ مَنْ يُنزِلُ هذا القُرآنَ على محمَّدٍ - ﷺ -رَسولٌ مِن عندِ اللهِ تعالى، حَسَنُ الخَلْقِ والأخلاقِ، وهو جِبريلُ عليه السَّلامُ.(77)

كما قال تعالى: وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [الشعراء: 192 - 195].

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20).

أي: وهو صاحِبُ قُوَّةٍ عَظيمةٍ، وله عِندَ اللهِ تعالى مكانةٌ عاليةٌ، ومَنزِلةٌ رَفيعةٌ.

كما قال تعالى: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى [النجم: 5].

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21).

أي: وهو مُطاعٌ في السَّــماءِ عندَ الملائِكةِ، أَمينٌ على ما ائتَمَنَه اللهُ عليه، ومِن ذلك تبليغُه الوَحْيَ إلى أنبيائِه دونَ زيادةٍ أو نَقصٍ.

---

(77) المراد بالرسول الكريم جبريل - عليه السلام -.

وقد ذكره ابنُ عطية (٨/ ٥٥٠ - ٥٥١)، وذكر قولًا آخر أنه محمد - ﷺ -، ثم رجّح الأول بقوله: «والقول الأول أصح».

ولم يذكر مستندًا.

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

أي: وما نَبيُّكم محمَّدٌ - ﷺ - يا أهلَ مكَّةَ، الَّذي خالَطْتُموه وعَرَفْتُم صِـــدْقَه وأمانَتَه: بمَجنونٍ كما تَزعُمونَ!

كما قال تعالى: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الأعراف: 184].

وقال الله سُـبحانَه: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَـاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ [سبأ: 46].

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23).

أي: ولقد رأى محمَّدٌ - ﷺ - جِبْريلَ في صُـــورتِه الَّتي خَلَقَه اللهُ عليها، وذلك في السَّـــماءِ مِن جِهةِ المَشرِقِ حيثُ تَطلُعُ الشَّمسُ، وتُرى الأشياءُ بوُضوحٍ.

كما قال تعالى: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى [النجم: 5 - 15].

وعن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - رأى جِبْريلَ له سِتُّمِئةِ جَناحٍ!)).(78)

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24).

أي: وما محمَّدٌ ببَخيلٍ على النَّاسِ بالقُرآنِ، ولا يَمتَنِعُ مِن إخبارِهم به، بل هو حَريصٌ على تبليغِ القُرآنِ إلى جميعِ النَّاسِ.(79)

(78) رواه البخاريُّ (3232)، ومسلمٌ (174) واللَّفظُ له.

(79) قال ابنُ القَيِّم: (أجمَعَ المفَسِّرون على أنَّ الْغَيْبِ هاهنا: القُرآنُ والوَحْيُ، وقال الفَرَّاءُ: يقولُ تعالى: يأتيه غَيبُ السَّماءِ، وهو مَنفوسٌ فيه، فلا يَضِنُّ به عليكم.

وهذا معنًى حَسَنٌ جدًّا؛ فإنَّ عادةَ النُّفوسِ الشُّحُّ بالشَّيءِ النَّفيسِ، ولا سيَّما عمَّن لا يَعرِفُ قَدْرَه، ويَذُمُّه، ويَذُمُّ مَن هو عِندَه، ومع هذا فهذا الرَّسولُ لا يَبخَلُ عليكم بالوَحْيِ الَّذي هو أنفَسُ شَيءٍ وأجَلُّه.

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: المعنى: يأتيه الغَيبُ فيُبَيِّنُه ويُخبِرُ به ويُظهِرُه، ولا يَكتُمُه كما يَكتُمُ الكاهِنُ ما عندَه ويُخْفيه حتَّى يأخُذَ عليه حُلْوانًا.

وفيه معنًى آخَرُ: وهو أنَّه على ثِقةٍ مِن الغَيبِ الَّذي يُخبِرُ به، فلا يخافُ أن يَنتَقِضَ ويَظهَرَ الأمرُ بخِلافِ ما أخبَرَ به، كما يَقَعُ للكُهَّانِ وغيرِهم ممَّن يُخبِرُ بالغَيبِ؛ فإنَّ كَذِبَهم أضعافُ صِدْقِهم، وإذا أخبَرَ أحَدُهم بخبَرٍ لم يكُنْ على ثقةٍ منه، بل هو خائفٌ مِن ظُهورِ كَذِبِه، فإقدامُ هذا الرَّسولِ على الإخبارِ بهذا الغَيبِ العَظيمِ -الَّذي هو أعظَمُ الغَيبِ- واثِقًا به، مقيمًا عليه، مُبْديًا له في كُلِّ مَجمَعٍ ومُعيدًا، مُناديًا به على صِدْقِه، مُجلِبًا به على أعدائِه: مِن أعظَمِ الأدِلَّةِ على صِدْقِه).

((التبيان في أقسام القرآن)) (ص: 124، 125).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (242/3)، ((الحجة للقراء السبعة)) للفارسي (381/6).

القِراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: بِظَنِينٍ بالظَّاءِ، مِن الظِّنَّةِ، وهي التُّهْمةُ، أي: ليس محمَّدٌ - ﷺ -بمتَّهَمٍ فيما يُخبِرُهم به عن اللهِ، بل هو ثِقةٌ صادِقٌ في ذلك.(80)

2- قِراءةُ: بِضَنِينٍ بالضَّادِ، مِن الضَّنِّ، وهو البُخلُ، أي: ليس محمَّدٌ - ﷺ -ببَخيلٍ عليهم بالوَحْيِ، بل هو يُعَلِّمُهم ما عَلَّمَه اللهُ تعالى مِن القُرآنِ، ويُبَلِّغُهم إيَّاه.(81)

---

(80) قرأَ بها ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرٍو، والكِسائيُّ، ورُوَيسٌ عن يَعقوبَ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/398، 399).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (24/167)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 364)، ((معاني القراءات)) للأزهري (3/124).

(81) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/399).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (24/167)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 364)، ((معاني القراءات)) للأزهري (3/124).

اتفق الأئمة على أنه إذا قُرئ: ﴿بضنين﴾ كان معناه: غير بخيل.

وإذا قُرئ: «بِظَنِينٍ» كان معناه: غير مُتّهم.

وزاد ابنُ عطية (٨/ ٥٥١) معلقًا على قراءة الظاء، فقال: «وهذا في المعنى نظير وصفه بـ ﴿أمين﴾، وقيل: معناه: بضعف القوة عن التبليغ من قولهم: بئر ظنون إذا كانت قليلة الماء.

ورجّح أبو عبيد قراءة الظاء مشالة؛ لأن قريشًا لم تبخل محمدًا - ﷺ - فيما يأتي به، وإنما كذّبته، فقيل: ما هو بمتّهم».

وأضاف ابنُ القيم (٣/ ٢٦٣): «وليس من الظن الذي هو الشعور والإدراك؛ فإن ذاك يتعدى إلى مفعولين».

ورجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٧٠) -مستندًا لموافقتها مصاحف المسلمين- قراءة الضاد، فقال: «وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة، وإن اختلفت قراءتهم به، وذلك ﴿بضنين﴾ بالضاد؛ لأنّ ذلك كله كذلك في خطوطها.

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25).

أي: وما هذا القُرآنُ بقَولِ شَيطانٍ مَلعونٍ مَطرودٍ مِن رَحمةِ اللهِ، مَرجومٍ بالشُّهُبِ.

كما قال تعالى: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ [الشعراء: 210 – 212].

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26).

أي: فإلى أين تَذهَبونَ –أيُّها المُشرِكونَ– عن هذا القُرآنِ مع وُضوحِ الحَقِّ فيه بدَلائِله؟ وإلى أيِّ طَريقٍ تَعدِلونَ عنه؟

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27).

أي: ما هذا القُرآنُ إلَّا تذكيرٌ مِنَ اللهِ تعالى لجَميعِ الإنسِ والجِنِّ، فيتَّعِظونَ به ويَعتَبِرون وينتَفِعونَ.

فإذا كان ذلك كذلك فأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل مَن تأوله، وما محمد على ما علمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه –أيها الناس–، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلموه».

ورجّح ابنُ تيمية (٦/ ٤٧٩) قراءة الظاء بقوله: «وهو المناسب».

وبنحوه ابنُ القيم (٣/ ٢٦٤) مستندًا إلى ظاهر الآية، والدلالة العقلية، فقال: «قلت: ويرجحه أنه وصفه بما وصف به رسوله المَلَكيّ مِن الأمانة، فنفى عنه التُّهمة، كما وصف جبريل بأنه أمين.

ويرجّحه أيضًا أنه سبحانه نفى أقسام الكذب كلّها عما جاء به من الغيب، فإنّ ذلك لو كان كذبًا فإمّا أن يكون منه، أو ممن علّمه، وإن كان منه فإمّا أن يكون تَعمَّده أو لم يَتعمّده، فإن كان مِن مُعلِّمه فليس هو بشيطان رجيم، وإن كان منه مع التعمد فهو المتهم ضد الأمين، وإن كان عن غير تعمُّد فهو المجنون، فنفى سبحانه عن رسوله ذلك كله».

وعلّق ابنُ كثير (١٤/ ٢٧١) على القراءتين، فقال: «قلت: وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح».

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28).

أي: وذلك إنَّما يكونُ لِمَن شاء منكم أن يَستقيمَ على الحَقّ، فيتَّبِعَه ويؤمِنَ به، وأمَّا مَن لا يُريدُ ذلك فلن ينتفِعَ بالقُرآنِ.

كما قال تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ [البقرة: 2].

وقال سُبحانَه: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ [فصلت: 44].

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29).

أي: وما تَشاؤونَ الاستِقامةَ على الحَقّ إلَّا إذا شاء الخالِقُ المالِكُ المدَبّرُ ذلك لكم.

كما قال تعالى: وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة: 213].

وقال سُبحانَه: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [يونس: 100].

وقال الله تبارك وتعالى: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [المدثر: 55-56].

وقال تعالى: إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [الإنسان: 29 - 31].

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الانفِطارِ

سورةُ الانفِطارِ

سورةُ الانفِطارِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ: بسُورةِ (الانفِطارِ).(82)

وسُمِّيت أيضًا بسورةِ: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ: فعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((مَن سَرَّه أن يَنظُرَ إلى يوم القِيامةِ كأنَّه رأيُ عَينٍ فلْيَقرأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْفطَرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)).(83)

وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قام مُعاذٌ فصَلَّى العِشاءَ الآخِرةَ، فطَوَّلَ، فقال النَّبيُّ – ﷺ –: أفتَّانٌ يا مُعاذُ؟! أفتَّانٌ يا مُعاذُ؟! أينَ كُنتَ عن سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالضُّحَى وإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ؟)).(84)

---

(82) سُمِّيتْ هذه السُّورةُ سورَةَ «الانفطار» في المصاحفِ ومُعْظَمِ التَّفاسيرِ؛ لقولِه في مُفتتَحِها: انْفَطَرَتْ.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (505/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (169/30).
(83) أخرجه الترمذي (3333)، وأحمد (4806).
صحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3333)، وجوَّده ابنُ حجر في ((فتح الباري)) (564/8)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (96/8)، وحسَّن إسنادَه شعيبُ الأرناؤوطُ في تخريج ((مسند أحمد)) (424/8).
(84) أخرجه النَّسائيُّ (997).

فضائل السورة وخصائصها:

مَن قَرَأها فكأنَّه يَنظُرُ إلى يومِ القيامةِ رَأْيَ عَينٍ:

كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما المتقدِّم.

سورةُ الانفِطارِ مَكِّيَّةٌ، ونقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.(85)

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

إثباتُ البعثِ، وبيانُ أهوالِ يومِ القيامةِ، وتنبيهُ النَّاسِ إلى وجوبِ الاستعدادِ له.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- وَصفُ أهوالِ يومِ القيامةِ.

2- ذِكرُ جانبٍ مِن نِعَمِ اللهِ على خَلْقِه.

صَحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (997).

وقال ابنُ كثيرٍ في ((الأحكام الكبير)) (189/3): (أصلُ هذا الحديثِ في صَحيحِ البُخاريّ).

والحديثُ أصلُه في الصَّحيحَينِ؛ أخرجه البخاريُّ (6106)، ومسلمٌ (465)، ولفظُ مسلمٍ: ((اقرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)).

(85) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: الماوَرْديُّ، وابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجوزيّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (220/6)، ((تفسير ابن عطية)) (418/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (410/4)، ((تفسير القرطبي)) (244/19)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (164/3).

3- بيانُ أنَّ أعمالَ الإنسانِ مُوكَلٌ بها ملائِكةٌ كِرامٌ كاتِبونَ.

4- بيانُ حُسنِ عاقِبةِ الأبرارِ، وسُوءِ عاقِبةِ الفُجَّارِ.

5- بيانُ عِظَمِ يومِ الحِساب وشِدَّةِ هَولِه، وتجَرُّدِ النُّفوسِ مِن كُلِّ حَولٍ فيه، وتفَرُّدِ اللهِ سُبحانَه فيه بالأمرِ.

سورةُ الانفِطارِ

الآيات (1–5)

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ (4) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5)

غريب الكلمات:

انْفَطَرَتْ: أي: انشَقَّت، وأصلُ (فطر): يدُلُّ على فَتحِ شَيءٍ وإبرازِه.

انْتَثَرَتْ: أي: تَساقَطَت مُتفرِّقةً، ونَثْرُ الشَّيءِ: نَشْرُه وتفريقُه، وأصلُ (نثر): يدُلُّ على إلقاءِ شَيءٍ مُتفرِّقٍ.

فُجِّرَتْ: أي: فُتِحَ بَعضُها في بعضٍ، فصارت بحرًا واحِدًا مُمتلِئًا، وأصلُ (فجر): يدُلُّ على تَفتُّحٍ في شَيءٍ.

بُعْثِرَتْ: أي: أُثِيرت، وقُلِبَ تُرابُها، وأُخرِجَ ما فيها، وأصلُ (بعثر): مُركَّبٌ مِن: بَعَث وأُثيرَ؛ فإنَّ البَعْثرةَ تتضَمَّنُ معناهما.

تفسير الآيات:

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1).

أي: إذا السَّماءُ مع قُوَّتها وشِدَّةِ إحكامِها قد انشَقَّت يومَ القيامةِ.

كما قال تعالى: السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ [المزمل: 18].

وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2).

أي: وإذا الكواكِبُ تَساقَطَت وتفَرَّقَت.

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3).

أي: وإذا البِحارُ المتفَرِّقةُ في الأرضِ قد فُجِّرَت تَفجيرًا كَثيرًا، وفُتِح بعضُها إلى بعضٍ.(86)

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4).

---

(86) في قوله: ﴿وإذا البحار فجرت﴾ ثلاثة أقوال: الأول: مُلئتْ.

الثاني: فاضتْ.

الثالث: فُجِّر بعضها في بعض.

قال ابنُ جرير (٢٤/ ١٧٥): «يقول -تعالى ذِكْره-: ﴿وإذا البحار فجرت﴾ يقول: فُجِّر بعضها في بعض، فملأ جميعها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في بعض ذلك».

وذكر أقوال السلف على هذا.

وذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٥٣) في انفجار البحار احتمالين، فقال: «و﴿تفجير البحار﴾ يحتمل أن يكون من امتلائها فتُفجّر من أعاليها وتفيض على ما وليها، ويحتمل أن يكون تفجير تفريغ من قيعانها، فيُذهب الله تعالى ماءها حيث شاء».

أي: وإذا القُبورُ أُثِيرت وقُلِبَ ما في بَطْنِها مِن الأمواتِ إلى ظَهْرِها، فبَعَثَهم اللهُ تعالى أحياءً.

كما قال تعالى: أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ [العاديات: 9].

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5).

أي: إذا وقَعَت تلك الأمورُ عَلِمَتْ كُلُّ نفْسٍ حِينَها بجميعِ أعمالِها؛ خَيْرِها وشَرِّها.(87)

(87) اختُلِف في قوله: ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ على أقوال: الأول: علمتْ كلُّ نفس ما قدّمتْ لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه، وأخّرتْ وراءه من شيء سنَّه فعُمل به.

الثاني: علمتْ نفس ما قدّمتْ من الفرائض التي أدّتها، وما أخّرتْ من الفرائض التي ضيَّعتها.

الثالث: علمتْ نفس ما قدّمتْ من خير أو شر، وأخّرتْ من خير أو شر.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٧٧) -مستندًا إلى الدلالة العقلية- القول الأول، وعلَّل ذلك بقوله: «وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه؛ لأن كلّ ما عمل العبد من خير أو شر فهو مما قدّمه، وأنّ ما ضيّع من حقّ الله عليه وفرّط فيه فلم يعمله، فهو مما قد قدّم من شر، وليس ذلك مما أخّر من العمل؛ لأنّ العمل هو ما عمله، فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدّمها، فلذلك قلنا: ما أخّر هو ما سنّه من سُنّة حسنة وسيئة مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره».

سورةُ الانفِطارِ

الآيات (6-12)

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)

غريب الكلمات:

غَرَّكَ: أي: خدَعَك، يُقالُ: غَررْتُ فُلانًا: أصــبتُ غِرَّتَه ونِلتُ منه ما أُريدُه، والغِرَّةُ: غفلةٌ في اليقَظةِ، ويُقالُ: غرَّه بفُلانٍ، إذا أمَّنه المحذورَ مِن جهتِه وهو غيرُ مأمونٍ.

فَسَوَّاكَ: أي: جعلَك سَويًّا مُتساويَ الأعضاءِ والقُوى على وَفْقِ الحكمةِ ومُقتضاها، سالِمًا، والتَّسويةُ: جعلُ الشَّــيءِ سَــواءً، أي: مُعَدَّلًا مُقَوَّمًا ســليمًا، وأصــلُ (ســوي): يدُلُّ على اســتِقامةٍ واعْتِدالٍ بيْنَ شيئَيْنِ.

فَعَدَلَكَ: أي: قَوَّم خَلْقَك، وجعَلَه مُعتَدِلًا، وأصلُ (عدل): يدُلُّ على اسْتِواءٍ.

رَكَّبَكَ: أي: وَضَعَك، وألَّف تركيبَ أعضائِك، وأصلُ (ركب): يدُلُّ على عُلُوِّ شَيءٍ شَيئًا.

بِالدِّينِ: أي: بالجزاءِ والحسابِ، يُقالُ: دِنْتُه بما صَنَع، أي: جازَيْتُه، وأصلُ (دين): جِنسٌ مِن الانْقِيادِ، والذُّلِّ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6).

أي: يا أيُّها الإنسانُ ما الَّذي خَدَعَك وسوَّلَ لك التَّجَرُّؤَ على الكُفْرِ برَبِّك أو مَعصيتِه، وهو الكريمُ ذو الكَمالِ والجَمالِ، الَّذي ينبغي أن يُعبَدَ ويُطاعَ شُكرًا لإحسانِه، ومُقابَلةً لكَرَمِه؟!

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7).

أي: الَّذي أوجَدَك فجَعَل خَلْقَك سَوِيًّا سَلِيمًا مُتقَنًا، فصِرْتَ مُعتَدِلَ الخِلْقةِ، مُتناسِبَ الأعضاءِ.

كما قال الله تبارك وتعالى: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: 14].

وقال سُبحانَه: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ [السجدة: 7].

وقال عزَّ وجَلَّ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين: 4].

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: فَعَدَلَكَ بتخفيفِ الدَّالِ، قيل: بمعنى: صَرَفَك اللهُ إلى أيِّ صُورةٍ شاءَها. وقيل: المعنى: صَرَفَك عن خِلْقةِ غَيْرِك إلى خِلْقةٍ حَسَنةٍ مُفارِقةٍ لسائرِ الخَلْقِ. وقيل: معنى قِراءةِ التَّخفيفِ كقراءةِ التَّشديدِ، أي: عَدَلَ بعضَ أعضائِك ببعضٍ حتَّى اعتدَلَت.(88)

2- قِراءةُ: فَعَدَّلَكَ بتشديدِ الدَّالِ، أي: جعَلَك مُعتَدِلَ الخِلْقةِ، مُتناسِبَ الأعضاءِ.(89)

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8).

أي: ركَّبك اللهُ -أيُّها الإنسانُ- في أيِّ صُّورةٍ شاء أن تكونَ عليها.

كما قال تعالى: وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ [غافر: 64].

---

(88) قرأ بها عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/399).
ويُنظَرُ لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (24/178)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 364)، ((معاني القراءات)) للأزهري (3/126، 127)، ((تفسير أبي حيان)) (10/422).

(89) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/399).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (24/178)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 364)، ((معاني القراءات)) للأزهري (3/126، 127).

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9).

أي: ارتَدِعوا وانزَجِروا عن الكُفْرِ برَبِّكم ومَعْصـيتِه، فالواجِبُ في حَقِّ مَن خَلَقَكم فسَـوَّاكم وعَدَلَكم وصَـوَّرَكم: طاعتُه وشُـكْرُه؛ فلا عُذْرَ لكم في تَرْكِ ذلك، وإنَّما الَّذي يَحمِلُكم على تَرْكِه هو تكذيبُكم باليومِ الآخِرِ الَّذي يُحاسَبُ فيه النَّاسُ، ويُجازَونَ على أعمالِهم.[90]

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10).

أي: وإنَّ عليكم -أيُّها النَّاسُ- ملائكةً حافِظينَ يُراقِبونَكم، ولا يُضَيِّعونَ شَيئًا مِن أعمالِكم.

كِرَامًا كَاتِبِينَ (11).

أي: هم ذَوُو كَمالٍ وَجمالٍ في صِفاتِهم الخِلْقيَّةِ والخُلُقيَّةِ، لا يَظلِمونَكم، ويَكتُبونَ جميعَ أعمالِكم.

كما قال تعالى: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّـمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: 17-18].

---

(90) الدِّين في الآية: هو يوم الحساب.

وقد ذكر ذلك ابنُ عطية (٨/ ٥٥٤) وزاد احتمالًا آخر، فقال: «و﴿الدين﴾ هنا يحتمل أن يريد به الشرع».

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12).

أي: يَعلَمُ أولئك الملائِكةُ المُوَكَّلونَ بكِتابةِ أعمالِكم كُلَّ ما تفعَلونَه؛ مِن قَولٍ أو فِعلٍ، خيرٍ أو شَـــرٍّ، ظاهِرٍ أو باطِنٍ.

سورةُ الانفِطارِ

الآيات (13–19)

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا
هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18)
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)

غريب الكلمات:

الْأَبْرَارَ: أي: المؤمنينَ، الصَّادِقِينَ في إيمانِهم، المُطيعينَ لرَبِّهم، قيل: أصلُ (برر) هنا: الصِّدْقُ، يُقالُ: يَبَرُّ ربَّه، أي: يُطيعُه، وهو مِنَ الصِّدقِ. وقيل: لَمَّا كان البَرُّ خِلافَ البحرِ، وتُصُوِّرَ منه التَّوسُّعُ، اشتُقَّ منه البِرُّ، وهو التَّوسُّعُ في فِعلِ الخَيرِ، ويُقالُ: بَرَّ العبدُ ربَّه، أي: توسَّع في طاعتِه، وأصلُ (برر) هنا -على ذلك-: خلافُ البحرِ.

الْفُجَّارَ: أي: الكفَّارَ، جمعُ فاجِرٍ، وهو المُنْبَعِثُ في المعاصي والمحارِمِ، يُقالُ: فَجَرَ يَفْجُرُ فُجُورًا، فهو فاجِرٌ، والفُجورُ: الانبِعاثُ والتَّفَتُّحُ في المعاصي، وأصلُ (فجر): التَّفَتُّحُ في الشَّيءِ. وقيل: الفَجْرُ: شَقُّ الشَّيءِ شَقًّا واسعًا، والفُجورُ: شَقُّ سِتْرِ الدِّيانةِ.

تفسير الآيات:

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13).

أي: إنَّ المؤمنينَ الطَّائِعينَ الملازِمينَ لفعلِ الخَيراتِ وأعمالِ البِرّ والإحسانِ: لَفِي جَنَّةٍ يَتنَعَّمونَ فيها.

وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14).

أي: وإنَّ الكُفَّارَ العُصـاةَ الَّذين قَصَّـروا في حُقوقِ اللهِ تعالى وحُقوقِ عِبادِه: لَفِي نارٍ شَـديدةِ التَّوَقُّدِ والتَّأجُّجِ.

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15).

أي: يُغمَسـونَ فيها فيُباشِـرونَ حرَّها، ويحترِقونَ بنارِها يومَ الحِسـابِ والجَزاءِ على الأعمالِ، وهو يومُ القيامةِ.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16).

أي: وما هم بخارِجينَ منها، بل هم مُلازِمونَ لها أبَدًا.

كما قال تعالى: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ [البقرة: 167].

وقال سُـــبحانَه: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُـــونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ [الزخرف: 74 – 77].

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17).

أي: قال اللهُ تعالى مُعظِّمًا ومُهَوِّلًا شأنَ يومِ القيامةِ: وما أعلَمَك بحقيقةِ ذلك اليومِ الَّذي يُحاسَبُ فيه النَّاسُ على أعمالِهم، ويُجازَون بحَسَبِها؟!

ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18).

أي: ثمَّ ما أعلَمَك بحقيقةِ ذلك اليومِ العَظيمِ المَهُولِ؟!

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19).

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا.

أي: يومَ لا يَملِكُ فيه أحَدٌ نَفْعًا لِغَيرِه، ولا إنقاذَه ممَّا هو فيه!

كما قال تعالى: وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ [البقرة: 166].

وقال سُبحانَه: يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ [البقرة: 254].

وقال عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا [لقمان: 33].

وقال تبارَكَ وتعالى: وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى [فاطر: 18].

وقال اللهُ سُبحانَه وتعالى: يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ [الدخان: 41].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((يا بَني هاشِمٍ، أنقِذُوا أنفُسَكم مِن النَّارِ، يا بَني عبدِ المُطَّلِبِ، أنقِذُوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا فاطِمةُ، أنقِذي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فإنِّي لا أملِكُ لكم مِنَ اللهِ شَيئًا)).[91]

وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ.

أي: المُلْكُ والتَّصرُّفُ يومَ القيامةِ للهِ وَحْدَه، لا يُنازِعُه فيه أحَدٌ مِن خَلْقِه، فهو وَحْدَه الَّذي يُحاسِبُ الخلائِقَ، ويُجازيهم بأعمالِهم.

كما قال تعالى: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة: 4].

وقال سُبحانَه: الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا [الفرقان: 26].

---

(91) رواه البخاريُّ (4771)، ومسلمٌ (204) واللَّفظُ له.

وقال تبارك وتعالى: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

[غافر: 16].

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المُطَفِّفِينَ

سُورةُ المُطَفِّفينَ

سُورةُ المُطَفِّفينَ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (المُطَفِّفينَ)، ووَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ.(92)

---

(92) سُمِّيت بذلك؛ لافتِتاحِها بقولِ اللهِ عزَّ وجَلَّ: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/506).

وقال ابنُ عاشـور: (سُمِّيَت هذه السُّـورةُ في كُتُبِ السُّـنَّةِ وفي بعضِ التَّفاسـيرِ «سـورةَ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ»، وكذلك ترجَمها البُخاريُّ في كتابِ التَّفسـيرِ مِن «صـحيحِه» [«6/167»]، والتِّرمذيُّ في «جامِعِه» [«5/434»]، وسُمِّيَت في كثيرٍ مِن كُتُبِ التَّفسيرِ والمصاحِفِ «سُورةَ المطَفِّفينَ» اختصارًا).

((تفسير ابن عاشور)) (30/187).

وتسمَّى أيضًا سورةَ التَّطفيفِ.

يُنظر: ((جمال القراء وكمال الإقراء)) للسخاوي (ص: 93).

سورةُ المُطَفِّفِينَ مُختَلَفٌ فيها؛ فقِيلَ: مَكِّيَّةٌ،(93) وقيلَ: مَدَنيَّةٌ.(94)

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

---

(93) ممَّن اختار أنَّها مَكِّيَّةٌ: ابنُ جرير، والزَّجَّاجُ، وابنُ أبي زَمَنِين، والواحديُّ، والزَّمخشريُّ، وابنُ جُزَي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (185/24)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (297/5)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (105/5)، ((الوسيط)) للواحدي (440/4)، ((تفسير الزمخشري)) (718/4)، ((تفسير ابن جزي)) (460/2).

قال ابنُ عطية (٨/ ٥٥٦ ط: دار الكتب العلمية): «وهي مكيّة في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا لذكر الأساطير، وهذا على أنّ هذا تطفيف الكيل والوزن كان بمكة حسبما هو في كلّ أُمّة لا سيما مع كُفرهم، وقال ابن عباس والسُّدِّيّ والنَّقّاش وغيرهم: السورة مدنية.

قال السُّدِّيّ: كان بالمدينة رجل يكنى: أبا جهينة، له مكيالان؛ يأخذ بالأوفى، ويُعطِي بالأنقص؛ فنزلت السورة فيه، يقال: إنها أول سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس أيضًا فيما روي عنه: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ لأنهم كانوا أشد الناس فسادًا في هذا المعنى، فأصلحهم الله تعالى.

وقال آخرون: نزلت السورة بين مكة والمدينة، وذلك ليصلح الله تعالى أمرهم قبل ورود رسوله عليهم».

(94) ممَّن اختار أنَّها مَدَنيَّةٌ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، والبَغَويُّ، وابنُ كثير، والبِقاعي، والشربيني.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (619/4)، ((تفسير البغوي)) (221/5)، ((تفسير ابن كثير)) (346/8)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (167/3)، ((تفسير الشربيني)) (499/4).

قال ابن الجوزيّ: (فيها ثلاثةُ أقوالٍ؛ أحدُها: أنَّها مكِّيَّةٌ.

قاله ابنُ مَسعودٍ، والضَّحَّاكُ، ويحيى بنُ سَلَّام.

والثَّاني: مَدَنيَّةٌ.

قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحَسَنُ، وعِكْرِمةُ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ، إلَّا أنَّ ابنَ عبَّاسٍ وقَتادةَ قالا: فيها ثماني آياتٍ مَكِّيَّةٌ؛ مِن قَولِه عزَّ وجلَّ: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا [المطففين: 29] إلى آخِرِها.

وقال مقاتِلٌ: فيها آيةٌ مكِّيَّةٌ، وهي قولُه عزَّ وجلَّ: إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [المطففين: 13].

والثَّالثُ: أنَّها نزَلَت بيْن مكَّةَ والمدينةِ.

قاله جابِرُ بنُ زَيدٍ، وابنُ السَّائِبِ.

وذَكَرَ هِبةُ الله بنُ سلامةَ المفسِّرُ أنَّها نزلت في الهِجرةِ بيْن مكَّةَ والمدينةِ، نِصفُها يُقارِبُ مكَّةَ، ونِصفُها يُقارِبُ المدينةَ).

((تفسير ابن الجوزي)) (413/4).

ويُنظر: ((الناسخ والمنسوخ)) لهبة الله بن سلامة (ص: 195).

1- التَّحْذيرُ مِن التَّطْفيفِ.

2- الحديثُ عن الفُجَّارِ والأبرارِ، والموازنةُ بيْنَ مصيرِ كلٍّ منهما.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- التَّحذيرُ مِن التَّطفيفِ فِي الكَيلِ والميزانِ، وتوعُّدُ المطَفِّفينَ، وتذكيرُهم بيومِ البَعثِ والحِسابِ والجَزاءِ.

2- بيانُ سُوءِ عاقِبَةِ الفُجَّارِ، وحُسنِ عاقِبَةِ الأبرارِ، وبيانُ أنَّ صَحائِفَ أعمالِ الفُجَّارِ فى أسفَلِ سافِلِينَ، وصَحائفَ أعمالِ الأبرارِ فى أعلى عِلِّيِّينَ.

3- ذِكرُ ما كان يَفعَلُه المُشرِكونَ مع المؤمنِينَ مِن استِهزاءٍ وإيذاءٍ.

4- تبشيرُ المؤمنِينَ بأنَّهم يومَ القيامةِ سيَضحَكونَ مِن الكُفَّارِ كما ضَحِكَ الكُفَّارُ منهم في الدُّنيا.

سُورةُ المُطَفِّفينَ

الآيات (1-6)

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ
يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ (6)

غريب الكلمات:

وَيْلٌ: أي: عَذابٌ وهَلاكٌ. وقيلَ: وَيلٌ: وادٍ في جهنَّمَ.

لِلْمُطَفِّفِينَ: أي: الَّذين يَنقُصونَ النَّاسَ حُقوقَهم في الكَيْلِ والوَزْنِ، والتَّطفيفُ: النُّقصانُ، أصلُه في الشَّيءِ الطَّفيفِ، وهو النَّزْرُ القليلُ، والمطَفِّفُ إنَّما يأخُذُ بالميزانِ شيئًا طفيفًا، وأصلُ (طفف): يدُلُّ على قِلَّةِ الشَّيءِ.

اكْتَالُوا كَالُوهُمْ: يُقالُ: كِلْتُ فُلانًا: أعطَيْتُه. واكتَلْتُ عليه: أخَذْتُ منه، والاكتيالُ: الأخذُ بالكَيْلِ.

يَسْتَوْفُونَ: أي: يأخُذونَ حُقوقَهم وافيةً تامَّةً، وأصلُ (وفي): يدُلُّ على إكمالٍ وإتمامٍ.

تفسير الآيات:

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ للَّذين يَنقُصون النَّاسَ حُقوقَهم في المِكْيالِ والمِيزانِ.[95]

كما قال تعالى: وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ [الرحمن: 9].

سَبَبُ النُّزولِ:

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِـيَ اللهُ عنهما، قال: ((لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ - ﷺ - المدينةَ كانوا مِن أخبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فأنزَلَ اللهُ سُبحانَه: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ؛ فأحسَنُوا الكَيلَ بعْدَ ذلك)).[96]

الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2).

أي: الَّذين إذا اشتَرَوا مِنَ النَّاسِ ما يُباعُ بالكَيلِ أخَذُوا حَقَّهم كامِلًا بلا نَقْصٍ.

---

(95) قال ابنُ عطية (٨/ ٥٥٧): «وقد ذهب بعض الناس إلى أنّ التطفيف هو: تجاوز الحدّ في وفاء أو نقصان، والمعنى والقرائن بحسب قولٍ قولٍ تبين المراد، وهذا عندي حد صحيح، وقد بيّن الله تعالى أنّ التطفيف هاهنا إنما أراد به أمر الوزن والكيل».

(96) أخرجه النَّسائيُّ في ((السنن الكبرى)) (11654)، وابنُ ماجه (2223) واللَّفظُ له.
صَحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (4919)، والحاكم في ((المستدرك)) (2240)، وصَحَّح إسنادَه ابنُ حجر في ((فتح الباري)) (565/8)، وحَسَّن الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (2223)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (4919).
قال ابنُ عاشـور: (اجتَمَعت كَلِمةُ المفَسِّـرينَ على أنَّ أهلَ يَثرِبَ كانوا مِن أخبَثِ النَّاسِ كَيلًا، فقال جماعةٌ مِنَ المفَسِّرينَ: إنَّ هذه الآيةَ نزلت فيهم؛ فأحسَنوا الكَيلَ بعدَ ذلك).
((تفسير ابن عاشور)) (190/30).

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3).

أي: وإذا كالُوا أو وَزَنوا للنَّاسِ حينَ يَبيعونَ لهم ما يُكالُ أو يُوزَنُ يَنقُصوهَم حَقَّهم.

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4).

أي: ألَا يَظُنُّ أولئك المُطَفِّفونَ أنَّهم مَبعوثونَ مِن قُبورِهم أحياءً بَعْدَ مَوتِهم؟!

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5).

أي: ليومٍ عَظيمٍ شأنُه، شديدةٍ أهوالُه

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6).

أي: يومَ يكونُ النَّاسُ قيامًا لله رَبِّ العالَمينَ، فيُحاسِبُهم ويُجازيهم على أعمالِهم.

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حتَّى يَغيبَ أحَدُهم في رَشْحِه[97] إلى أنصافِ أُذُنَيه!)).[98]

---

(97) في رَشْحِه: أي: عَرَقِه.

يُنظر: ((مصابيح الجامع)) للدماميني (487/8).

(98) رواه البخاريُّ (4938) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2862).

سُورةُ المُطَفِّفين

الآيات (7–17)

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
(12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ (14) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16)
ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17)

غريب الكلمات:

سِجِّينٍ: على وزنِ فِعِّيلٍ مِن مادَّةِ السَّجْنِ، قيل: هي اسمٌ للأرضِ السَّابعةِ السُّفلى، وقيل: هي اسمٌ لجهنَّمَ، بإزاءِ عِلِّيِّينَ؛ سُمِّيَ ذلك المكانُ سِجِّينًا لأنَّه أشَدُّ الحَبسِ لِمَن فيه، فلا يفارِقُه، وأصلُ (سجن): يدُلُّ على حَبسٍ.

مَرْقُومٌ: أي: مَكتوبٌ كِتابةً بَيِّنةً تُشبِهُ الرَّقْمَ في الثَّوبِ المَنسوجِ، وأصلُ (رقم): يدُلُّ على خَطٍّ وكِتابةٍ وما أشبهَ ذلك.

الدِّينِ: أي: الجزاءِ والحسابِ، يُقالُ: دِنْتُه بما صَنَع، أي: جازيتُه، وأصلُ (دين): جِنْسٌ مِن الانْقِيادِ، والذُّلِّ.

أَثِيمٍ: أي: كثيرِ الإثمِ، مُتجاوِزٍ في الظُّلمِ، مُتمادٍ في الكُفرِ، وأصلُ (أثم): يدُلُّ على البُطءِ والتَّأخُّرِ؛ لأنَّ ذا الإثمِ بَطيءٌ عن الخَيرِ، متأخِّرٌ عنه.

أَسَاطِيرُ: أي: أباطيلُ، جمعُ أُسطُورةٍ، وهي: ما سُطِرَ مِن أخبارِ الأوَّلِينَ وكَذِبِهم، وأصلُ (سطر): يدُلُّ على اصطِفافِ شَيءٍ.

رَانَ: أي: غَطَّى وغَلَب، والرَّيْنُ كالصَّدَأِ يَغْشَى القَلْبَ مِن كَثرةِ المعاصي والذُّنوبِ، وكُلُّ ما غَلَبَك وعَلاك فقد رانَ بك، وران عليك، وأصلُ (رين): يدُلُّ على غِطاءٍ وسَترٍ.

لَصَالُو الجَحِيمِ: أي: لَداخِلو الجَحيمِ ومُقاسونَ حَرَّها، والجحيمُ: النَّارُ، والصَّلَى أصلُه: الإيقادُ بالنَّارِ، وأصلُ (صلى) هنا: النَّارُ، وأصلُ (جحم): الحرارةُ وشِدَّتُها.

تفسير الآيات:

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7).

أي: ليس الأمرُ كما يَظُنُّ هؤلاءِ الكفَّارُ أنَّهم غيرُ مبعوثِينَ ولا مُعذَّبينَ، فلْيَرْتَدِعوا! إنَّ صَـحيفةَ أعمالِ الفُجَّارِ مِنَ المُطَفِّفينَ وغَيرِهم في مكانٍ ضَيِّقٍ مِنَ الأرضِ السَّابعةِ![99]

---

(99) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٥٩) في المراد بالكتاب احتمالين، فقال: «وكتابهم يراد به: الذي فيه تحصيل أمرهم وأفعالهم. ويحتمل عندي أن يكون المعنى: وعدادُهم وكتاب كونهم هو في سِجِّين، أي: هنالك كتبوا في الأزل».

اختُلف في قوله: ﴿سِجِّين﴾ على أقوال: الأول: الأرض السابعة السُّفلى.

الثاني: خدّ إبليس، ومنتهى سلطانه.

الثالث: جُبٌّ في جهنم مفتوح.

الرابع: أنها عبارة عن الخسار.

وقد علّق ابنُ عطية (٨/ ٥٥٩) على القول الرابع بقوله: «كما تقول: بلغ فلان الحضيض؛ إذا صار في غاية الخمول».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ١٩٦ - ١٩٧) -مستندًا إلى السنة، وآثار السلف- القول الأول.

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٢٨٤) اختلاف السـلف فيه، ثم قال -مسـتندًا إلى دلالة الواقع، والنظائر-: «والصـحيح أنّ» سِـجِّينا «مأخوذ من السجن، وهو الضيق، فإنّ المخلوقات كلّ ما تسافل منها ضاق، وكلّ ما تعالى منها اتسع، فإنّ الأفلاك السبعة كلّ واحد منها أوسع وأعلى مِن الذي دونه، وكذلك الأرضون كلّ واحدة أوسع من التي دونها، حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة.

ولما كان مصـير الفُجّار إلى جهنم وهي أسـفل السـافلين، كما قال تعالى: ﴿ثم رددناه أسـفل سـافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصـالحات﴾ [التين: ٥ - ٦]، وقال هاهنا: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سِجّين وما أدراك ما سِـجّين﴾ وهو يجمع الضّـيق والسُّفول».

عن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال في حديثِه الطَّويلِ في صفةِ قبضِ الرُّوحِ، ونعيمِ القبرِ وعذابِه: ((فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتُبُوا كِتابَه في سِجِّينٍ في الأرضِ السُّفْلى، فتُطرَحُ رُوحُه طَرْحًا)).(100)

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8).

أي: وما أعلَمَك -يا محمَّدُ- بحَقيقةِ سِجِّينٍ الموضوعِ فيه كتابُ أعمالِ الفُجَّارِ؟

كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9).

أي: كِتابُ الفُجَّارِ هذا كِتابٌ مَسطورةٌ فيه أعمالُهم بوُضوحٍ دونَ زيادةٍ أو نَقْصٍ.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ!

الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11).

---

(100) أخرجه ابنُ أبي شَيْبَةَ في ((المصنَّف)) (12059)، وأحمدُ (18534)، والطَّيالِسيُّ (789)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (107) بألفاظٍ متقاربةٍ.

صحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح الجامع)) (1676) و((صحيح الترغيب)) (3558)، وحسَّنه المُنذِريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (280/4)، وابنُ تيميَّةَ في ((مجموع الفتاوى)) (290/4).

وصحَّح إسنادَه الطبريُّ في ((مسند ابن عمر)) (494/2)، والبَيْهَقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (300/1)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (503/30)، وقال ابن منده في ((الإيمان)) (398): إسنادُه متَّصِلٌ مشهورٌ ثابتٌ على رسمِ الجماعةِ.

أي: الَّذين يُكَذِّبونَ في الدُّنيا بيومِ الحِسابِ والجَزاءِ، فيُنكِرونَ البَعْثَ يومَ القيامةِ.

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12).

أي: وما يُكَذِّبُ بذلك اليَومِ إلَّا كُلُّ مُعتَدٍ على حُدودِ اللهِ، ظالِمٍ لِعبادِ اللهِ، مُبالِغٍ في الانهِماكِ في المحَرَّماتِ، كَثيرِ الآثامِ والسَّيِّئاتِ.

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13).

أي: إذا تُلِيَت عليه آياتُ القُرآنِ قال مُكَذِّبًا: تلك أحاديثُ الأوَّلِينَ وخُرافاتُهم الَّتي سُطِرَت في الكُتُبِ مِن قَبْلُ!

كما قال تعالى: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الفرقان: 5].

وقال الله سُبحانَه: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [النحل: 24].

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14).

أي: ليس القُرآنُ بأساطيرِ الأوَّلِينَ كما يَزعُمُ المكَذِّبونَ، ولكِنَّ الَّذي حمَلَهم على التَّكذيبِ بالحَقِّ وتَرْكِ الإيمانِ به أنَّه غَطَّى على قُلوبِهم وأحاط بها ما كانوا يَعمَلونَه مِن الذُّنوبِ المُتتابِعةِ، حتَّى اسْوَدَّت قُلوبُهم، فرَأَوُا الحَقَّ باطِلًا.

كما قال تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا [الكهف: 57].

وعن أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((إنَّ المؤمِنَ إذا أذنَبَ كانت نُكتةٌ[101] سَوداءُ في قَلْبِه، فإنْ تاب ونَزَع واستغفَرَ، صُقِلَ[102] قَلْبُه، فإن زاد زادت، فذلك الرَّانُ الَّذي ذَكَرَه اللهُ في كِتابِه: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)).[103]

وعن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ كالحَصيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلبٍ أُشرِبَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ[104] سوداءُ، وأيُّ قَلبٍ أنكَرَها نُكِتَ فيه

---

(101) النُّكتةُ: أثَرُ الذَّنبِ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (1622/4).

(102) صُقِلَ قَلْبُه: أي: محا الله تلك النُّكتةَ عن قلبِه فيَنْجلي.
يُنظر: ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (42/8).

(103) أخرجه الترمذيُّ (3334)، والنسائيُّ في ((السنن الكبرى)) (11658)، وابنُ ماجه (4244) واللَّفظُ له، وأحمدُ (7952).
قال الترمذي: (حسَنٌ صحيحٌ).
وصَحَّحه ابن جريرٍ الطبريُّ في ((التفسير)) (147/1)، وابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (930)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (6)، وحَسَّنه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (4244).

(104) نُكِتَ فيه نُكتةٌ: أي: نُقِطَتْ وأثَّرَتْ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للملا الهروي (3378/8).

نُكتةٌ بيضاءُ، حتَّى تَصيرَ على قَلْبَيْنِ؛ على أبيضَ مِثلِ الصَّفا،[105] فلا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السَّمواتُ والأرضُ، والآخَرُ أسْــوَدُ مُرْبَادًّا[106] كالكُوزِ مُجَخِّيًا،[107] لا يَعرِفُ مَعروفًا ولا يُنكِرُ مُنكَرًا إلَّا ما أُشرِبَ مِن هَواه).[108]

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15).

أي: كَلَّا[109] إنَّ أولئك المكَذِّبينَ لَمحجوبونَ يومَ القيامةِ عن رَبِّهم، فلا يَرَونَه أبَدًا.[110]

---

(105) الصَّفا: الحَجَر الأملَس؛ مِن غايةِ البَياضِ والصَّفاءِ.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (8/ 3378).

(106) مُرباَدًّا: أي: صار كلَونِ الرَّمادِ؛ مِنَ الرُّبْدةِ: لونٌ بيْن السَّوادِ والغُبرةِ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (183/2).

(107) كالكُوزِ مُجَخِّيًا: أي: كالكوزِ المائلِ المنكوسِ.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3378/8).

(108) رواه مسلم (144).

(109) قيل: المرادُ: نَفْيُ ما كان يقولُه هؤلاء المكَذِّبونَ بيومِ الدِّينِ مِن أنَّ لهم عندَ الله زُلْفةً.

وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ جرير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (204/24).

وقيل: المرادُ: نَفْيُ ما ادَّعَوه مِن أنَّ القُرآنَ أســاطيرُ الأوَّلِينَ، فهو ليس كذلك لا في الواقِعِ ولا في قَرارةِ أنفُســهم؛ فلْيَرتَدِعوا عن ذلك أعظَمَ ارتداعٍ.

وممَّن قال بهذا المعنى: البِقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (323/21).

(110) اختُلف في قوله: ﴿إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ على قولين: الأول: محجوبون عن كرامته.

الثاني: محجوبون عن رؤيته.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٢٠٥ – ٢٠٦) العمومَ؛ لعدم الدليل على التخصــيص، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصــواب: أن يُقال: إنّ الله –تعالى ذِكْره– أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون.

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16).

أي: ثمَّ إنَّهم مع حِرْمانِهم رُؤيةَ اللهِ يَدخُلونَ النَّارَ، ويَحترِقونَ فيها.

كما قال تعالى: وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ [الانفطار: 14 - 16].

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17).

أي: ثمَّ يُقالُ لهم تقريعًا وتَوبيخًا: هذا هو عذابُ النَّارِ الَّذي كنتُم في الدُّنيا تُكَذِّبونَ به؛ فذُوقوه الآنَ في الآخِرةِ!

ويحتمل أن يكون مرادًا به: الحجاب عن كرامته.

وأن يكون مرادًا به: الحجاب عن ذلك كلّه، ولا دلالة في الآية تدل على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله - ﷺ - قامت حجّته.

فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته؛ إذ كان الخبر عامًّا، لا دلالة على خصوصه».

وقال ابنُ عطية (٨/ ٥٦١ بتصرف يسير) معلّقًا على القولين: «فمَن قال بالرؤية -وهم أهل السنة- قال: إنّ هؤلاء لا يرون ربّهم، فهم محجوبون عنه، واحتجَّ بهذه الآية مالك بن أنس عن مسألة الرؤية من جهة دليل الخطاب، وإلا فلو حجب الرؤية عن الكلّ لما أغنى هذا التخصص...

ومَن قال بألاّ رؤية -وهو قول المعتزلة- قال في هذه الآية: إنهم محجوبون عن رحمة ربّهم وغفرانه».

كما قال تعالى: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ [الذاريات: 13–14].

سُورةُ المُطَفِّفين

الآيات (18–28)

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20)
يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ
فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28)

غريب الكلمات :

عِلِّيِّينَ: جَمعٌ منقولٌ مِن «عِلِّيٍّ» وهو فِعِّيلٌ مِنَ «العُلُوِّ»، كسِجِّينٍ مِنَ السَّجنِ، قيل: هو السَّماءُ السَّابعةُ تَحتَ العَرْشِ. وقيل: هو عَلَمٌ لديوانِ الخَيرِ الَّذي دُوِّنَ فيه كُلُّ ما عَمِلَتْه الملائكةُ وصُلَحاءُ الثَّقَلينِ؛ وسُمِّيَ بذلك إمَّا لأنَّه سَبَبُ الارتفاعِ إلى أعالي الدَّرَجاتِ في الجنَّةِ، وإمَّا لأنَّه مَرفوعٌ في السَّماءِ السَّابعةِ، وأصلُ (علو): يدُلُّ على ارتفاعٍ.

الْأَرَائِكِ: جمعُ أريكةٍ، وهي السَّريرُ في الحِجالِ، وتسميتُها بذلك إمَّا لكَونِها في الأرضِ متَّخذةً مِن أَراكٍ، وهو شجرةٌ، أو لكَونِها مكانًا للإقامةِ مِن قولِهم: أَرَكَ بالمكانِ أُرُوكًا، وأصلُ الأُرُوكِ: الإقامةُ على رَعْيِ الأَراكِ، ثمَّ تُجُوِّزَ به في غيرِه مِن الإقاماتِ، و(أرك) أصلانِ؛ أحدُهما: شَجَرٌ، والآخَرُ: الإقامةُ.

نَضْرَةَ النَّعِيمِ: أي: بَهْجةَ التَّنَعُّمِ وحُسْنَه، وأصلُ (نضر): يدُلُّ على حُسنٍ وجمالٍ، وأصلُ (نعم): يدُلُّ على تَرَفُّهٍ وطِيبِ عَيْشٍ وصَلاحٍ.

رَحِيقٍ: الرَّحيقُ: اسمٌ للخَمْرِ الصَّافيةِ الطَّيِّبةِ.

مَخْتُومٍ: أي: مختومٍ شرابُه بالرَّائحةِ المسكيَّةِ، وقيل: مَسدودٍ إناؤُه، ممنوعٍ مِن أن تَمَسَّه يدٌ إلى أن يَفُكَّ خَتْمَه الأبرارُ، وأصلُ (ختم): يدُلُّ على بُلوغِ آخِرِ الشَّيءِ.

فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ: أي: فلْيَرغَبِ الرَّاغِبونَ، ولْيَسْتَبِقُوا في طَلَبِه، ولْتَحْرِصْ عليه نُفوسُهم، والمُنافَسةُ: مُجاهَدةُ النَّفْسِ للتَّشبُّهِ بالأفاضِلِ، واللُّحُوقِ بهم مِن غيرِ إدخالِ ضررٍ على غيرِه، يُقالُ: نافَسْتُ في الشَّيءِ مُنافَسةً ونِفاسًا، إذا رَغِبْتَ فيه على وجهِ المُباراةِ، ومِن هذا قَولُهم: شَيءٌ نَفيسٌ، أي: هو أهلٌ أن يُتنافَسَ فيه، ويُرغَبَ فيه.

وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ: أي: ما يُمزَجُ ويُخلَطُ به ذلك الشَّرابُ مِن تَسنيمٍ، وهو: اسمُ عَينٍ في الجنَّةِ رَفيعةِ القَدْرِ، سُمِّيَت بالتَّسنيمِ الَّذي هو مَصدَرُ سَنَّمَه: إذا رفَعَه؛ إمَّا لأنَّها أرفَعُ شَرابٍ في الجنَّةِ، وإمَّا لأنَّها تأتيهم مِن فوقٍ، وأصلُ (مزج): يدُلُّ على خَلْطِ الشَّيءِ بغَيْرِه، وأصلُ (سنم): يدُلُّ على العُلُوِّ والارتفاعِ، ومنه سَنامُ البَعيرِ، وتسَنَّمتُ الحائِطَ: إذا عَلَوتَه.

تفسير الآيات:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18)﴾.

أي: ليس الأمرُ كما يَظُنُّ أولئك الفُجَّارُ مِن أنَّه لا بَعْثَ ولا حِساب ولا جَزاءَ؛ فلْيَرتَدِعوا عن تكذيبِهم بذلك! إنَّ صَحيفةَ أعمالِ المؤمنينَ الطَّائِعينَ الملازِمينَ فِعْلَ الخَيراتِ وأعمالَ الإحسانِ: في مَوضِعٍ عالٍ رفيعٍ.[111]

---

(111) اختُلف في قوله: ﴿في عِلِّيِّين﴾ على أقوال: الأول: السماء السابعة.

الثاني: قائمة العرش اليمنى.

الثالث: عند سِدرة المنتهى.

الرابع: الجنة.

الخامس: في السماء عند الله.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٦٢) هذه الأقوال، ثم علّق قائلًا: «والمعنى: أن كتابهم الذي فيه أعمالهم هنالك تهممًا بها وترفيعًا لها، وأعمال الفُجّار في سِجِّين في أسفل سافلين».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٢١٠ - ٢١١ بتصرف) جملةَ هذه الأقوال؛ لدلالة اللغة، والإجماع، وعدم التخصيص، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذِكْره- أخبر أنّ كتاب الأبرار في عِلِّيِّين؛ والعِلِّيّون جمع، معناه: شيء فوق شيء، وعلوّ فوق علوّ، وارتفاع بعد ارتفاع، فلذلك جُمعتْ بالياء والنون، كجمع الرجال.

فإذا كان ذلك كالذي ذكرنا فبيّنٌ أنّ قوله: ﴿لفي عِلِّيِّين﴾ معناه: في علوٍّ وارتفاع، في سماء فوق سماء، وعلوّ فوق علوّ.

وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة، وإلى سِدرة المنتهى، وإلى قائمة العرش، ولا خبر يقطع العذر بأنه معنيٌّ به بعض ذلك دون بعض، والصواب أن يقال في ذلك كما قال -جلّ ثناؤه-: إنّ كتاب أعمال الأبرار لَفي ارتفاع إلى حدٍّ قد علم الله -جلّ وعزّ- منتهاه، ولا عِلْم عندنا بغايته، غير أنّ ذلك لا يقصر عن السماء السابعة؛ لإجماع الحجّة من أهل التأويل على ذلك».

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٢٨٨) اختلاف السلف في عِلِّيّين، ثم قال مستندًا إلى دلالة الواقع، والسياق: «والظاهر: أنّ عِلِّيّين مأخوذ من العلوّ، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع؛ ولهذا قال معظّمًا أمره ومفخمًا شأنه: ﴿وما أدراك ما عِلِّيّون﴾، ثم قال مُؤَكِّدًا لما كتب لهم: ﴿كتاب مرقوم يشهده المُقرَّبون﴾ وهم الملائكة.

عن البَراءِ بن عازِبٍ رَضِــيَ اللهُ عنهما في حَديثِه الطَّويلِ في صــفةِ قبضِ الرُّوحِ، ونعيمِ القبرِ وعذابِه، وفيه: أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((فيَصــعَدونَ بها، فلا يَمُرُّونَ –يعني: بها– على مَلَإٍ مِنَ الملائِكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ؛ بأحسَنِ أسمائِه الَّتي كانوا يُسَمُّونَه بها في الدُّنيا، حتَّى يَنْتَهوا بها إلى السَّــماءِ الدُّنيا، فيَســتَفتِحونَ له، فيُفتَحُ لهم، فيُشَــيِّعُه مِن كُلِّ سَماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السَّــماءِ الَّتي تَلِيها، حتَّى يُنتَهى به إلى السَّــماءِ السَّــابعةِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: اكتُبُوا كِتابَ عَبْدي في عِلِّيِّينَ، وأَعيدوه إلى الأرضِ؛ فإنِّي منها خَلَقْتُهم، وفيها أُعِيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرى)).[112]

وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19).

أي: وما أعلَمَك –يا محمَّدُ– بحقيقةِ عِلِّيِّينَ الموضوعِ فيه كتابُ أعمالِ الأبرارِ؟

كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20).

أي: كِتابُ الأبرارِ هذا هو كِتابٌ مَسطورةٌ أعمالُهم فيه بوُضوحٍ دونَ زيادةٍ أو نَقْصٍ.

قاله قتادة».وزاد ابنُ عطية (٨/ ٥٦٢) عن مكيٍّ أنه قال: «وقيل: هو في السماء الرابعة».

(112) أخرجه ابنُ أبي شَـيْبَةَ في ((المصنَّف)) (12059)، وأحمدُ (18534)، والطَّيالِسيُّ (789)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (107) بألفاظٍ متقاربةٍ.

صـحَّحه الألبانيُّ في ((صـحيح الجامع)) (1676) و((صـحيح الترغيب)) (3558)، وحسَّـنه المُنذِريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (280/4)، وابنُ تيميَّةَ في ((مجموع الفتاوى)) (290/4).

وصـحَّح إسنادَه الطبريُّ في ((مسند ابن عمر)) (494/2)، والبَيْهَقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (300/1)، وشـعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسـند أحمد)) (503/30)، وقال ابن منده في ((الإيمان)) (398): (إسـنادُه متَّصِـلٌ مشـهورٌ ثابتٌ على رسـمِ الجماعةِ).

يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21).

أي: يَحضُرُه عِبادُ اللهِ المُقَرَّبونَ عِنْدَه.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22).

أي: إنَّ المؤمِنينَ الَّذين أطاعوا اللهَ، وأحسَنُوا إلى عبادِ اللهِ: لَفِي نَعيمِ الجَنَّةِ الدَّائِمِ.

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23).

أي: هم على السُّــرُرِ الَّتي أُرخِيَ عليها سُــتورٌ مُزَيَّنةٌ يَنظُرونَ إلى وَجهِ اللهِ الكَريمِ، وإلى ما أعطاهم مِنَ النَّعيمِ العَظيمِ.

كما قال تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة: 22–23].

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24).

أي: تَعرِفُ في وُجوهِهم أثَرَ النِّعمةِ والسُّرورِ الظَّاهِرَ؛ مِنَ الحُسْنِ والبَهاءِ والنَّضارةِ.

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26).

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ....

أي: يُسقَى هؤلاءِ الأبرارُ مِن خَمرٍ لذيذةٍ صافيةٍ لا كَدَرَ فيها، مختومةٍ بالمِسْكِ.(113)

... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ.

أي: فلْيَجتَهِدِ المتسابِقونَ ويُبادِرُوا في طَلَبِ ذلك النَّعيمِ، بطاعةِ اللهِ تعالى، واجتنابِ ما يُسخِطُه، ولْيُسارِعوا؛ حِرصًا على الفَوزِ به.

---

(113) اختُلف في قوله: ﴿مختوم ختامه مسك﴾ على أقوال: الأول: مزاجه وخِلْطه مسك.

الثاني: أنّ آخر شرابهم يُختم بمسك يُجعل فيه.

الثالث: طِينه مسك.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٥٦٣ – ٥٦٤) على القول الثالث، فقال: «قال مجاهد: معناه: طِينه الذي يُختم به مسك بدل الطين الذي في الدنيا، وهذا إنما يكون في الكؤوس؛ لأنّ خمر الآخرة ليست في دنان، إنما هي في أنهار».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٢١٩) –مستندًا إلى اللغة، ودلالة العقل– القول الثاني، وعلّل ذلك بقوله: «وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة لأنه لا وجه للختم في كلام العرب إلا الطبع والفراغ، كقولهم: ختم فلان القرآن: إذا أتى على آخره.

فإذا كان لا وجه للطبع على شراب أهل الجنة يفهم إذا كان شرابهم جاريًا جري الماء في الأنهار، ولم يكن مُعتّقًا في الدنان فيُطَيّن عليها وتُختم؛ تعيّن أنّ الصحيح من ذلك الوجه الآخر، وهو العاقبة والمشروب آخرًا، وهو الذي خُتم به الشراب».

وانتقد –مستندًا إلى اللغة– القول الأول، فقال: «وأما الختم بمعنى: المزج، فلا نعلمه مسموعًا من كلام العرب».

وقال ابنُ عطية (٨/ ٥٦٣): «و﴿مَّخْتُومٍ﴾ يحتمل أن يُختم على كؤوسه التي يُشرب بها تهممًا وتنظُّفًا، والأظهر أنه مختوم شُربه بالرائحة المسكية حسبما فسَّره قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾».

وزاد ابنُ عطية قولًا آخر، فقال: «وقال أبو علي: المراد: لذاذة المقطع وذكاء الرائحة مع طيب المطعم، وكذلك هو قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، وقوله تعالى: ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧] أي: تجد في اللسان».

كما قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: 133].

وقال سُبحانه: سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ [الحديد: 21].

وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27).

أي: ويُمزَجُ ذلك الرَّحيقُ المختومُ ويُخلَطُ بشَرابٍ شَريفٍ مِن عَينٍ رَفيعةٍ عاليةٍ اسْمُها تَسنيمٌ.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28).

أي: وتلك العَينُ يَروَى بها المقَرَّبونَ السَّابِقونَ، وهم أعلى وأفضَلُ مِن الأبرارِ، فيَشرَبونَ منها شرابًا صافيًا خالِصًا دونَ أن يُمزَجَ بشَيءٍ.

سُورةُ المُطَفِّفِينَ

الآيات (29-36)

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)

غريب الكلمات:

يَتَغَامَزُونَ: أي: يَغمِزُ بَعضُهم بَعضًا، ويُشِيرونَ بأَعْيُنِهم على وجهِ السُّخريةِ، والغَمزُ: الإشارةُ بالجَفنِ والحاجِبِ، ويكونُ الغمزُ أيضًا بمعنى العَيبِ، يُقالُ: غَمَزَه إذا عابه، و: ما في فُلانٍ غَميزةٌ، أي ما يُعابُ به.

انْقَلَبُوا: أي: انصَرَفوا ورَجَعوا، وأصلُ (قلب): يدُلُّ على صَرْفِ الشَّيءِ عن وجهٍ إلى وجهٍ، أو ردِّه مِن جِهةٍ إلى جِهةٍ.

فَكِهِينَ: أي: فَرِحينَ مَسرورينَ مُعْجَبِينَ باستِخفافِهم بالمؤمنينَ، وأصلُ (فكه): يدُلُّ على طِيبٍ واستِطابةٍ.

ثُوِّبَ: أي: جُوزِيَ وأُثيبَ، وأصلُ (ثوب): يدُلُّ على عَودٍ ورُجوعٍ.

تفسير الآيات:

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29).

أي: إنَّ الكُفَّارَ كانوا في الدُّنيا يَضحَكونَ مِنَ المؤمِنينَ؛ استِهزاءً بهم، وسُخْريةً منهم، واحتِقارًا لهم.

كما قال تعالى: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [البقرة: 212].

وقال سُبحانَه: إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ [المؤمنون: 109 - 111].

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30).

أي: وإذا مَرُّوا بهم في طَريقِهم تغامَزَ أولئك المجرِمونَ، فأشار بَعضُهم إلى بَعضٍ بأعيُنِهم؛ استِهزاءً بالمؤمِنينَ، واحتِقارًا لهم.

وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31).

أي: وإذا انصَرَفَ أولئك المجرِمونَ إلى أهلِهم في بُيوتِهم انصَرَفوا فَرِحينَ مَسرورينَ باستِخفافِهم بالمؤمِنينَ.

كما قال تعالى: ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى [القيامة: 33].

وقال سُبحانَه: إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا [الانشقاق: 13].

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32).

أي: وإذا رَأَوُا المؤمنينَ قالوا: إنَّ هؤلاء لَضالُّونَ عن طَريقِ الحَقّ، وفِعْلِ الصَّوابِ!

كما قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ [الأحقاف: 11].

وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33).

أي: ولم يُرسِلِ اللهُ الكُفَّارَ وُكَلاءَ على المؤمنينَ ليَحفَظوا أعمالَهم، ويَنشَغِلوا بمُراقَبتِهم، ويَحكُموا عليهم، بل كَلَّفَهم اللهُ بالإيمانِ، والانشغالِ بالأعمالِ الصَّالحةِ.

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34).

أي: ففي اليومِ الآخِرِ يَضحَكُ المُؤمِنونَ مِنَ الكُفَّارِ حينَ يَرَونَهم وهُم يُعَذَّبونَ!

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35).

أي: والمُؤمِنونَ في الجَنَّةِ على السُّرُرِ الَّتي أُرخِيَ عليها السُّتُورُ المُزيَّنةُ يَنظُرونَ إلى وَجهِ رَبِّهم الكريمِ، وإلى ما أُعِدَّ لهم مِن النَّعيمِ، وإلى الكافِرينَ وهم يُعذَّبونَ.

هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36).

أي: هل جُوزِيَ الكُفَّارُ على ما كانوا يَفعَلونَه في الدُّنيا حينَ يُعَذِّبُهم اللهُ في النَّارِ؟!

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الانشِقاقِ

سُورةُ الانشِقاقِ

سورةُ الانشِقاقِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ: سورةَ الانشِقاقِ.[114]

وسُمِّيَت أيضًا سورةَ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ:[115]

فعن ابنِ عُمَرَ رَضِـيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسـولُ اللهِ – ﷺ –: ((مَن سَـرَّه أن يَنظُرَ إلى يومِ القيامةِ كأنَّه رَأْيُ عَينٍ فلْيَقرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)).[116]

(114) قال ابنُ عاشورٍ: (سمَّاها المفسِّرونَ وكتَّابُ المصاحفِ «سورةَ الانشِقاقِ» باعتبارِ المعنى).

((تفسير ابن عاشور)) (217/30).

(115) وَجهُ التَّسميةِ: افتِتاحُها بقَولِه تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (508/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (217/30).

(116) أخرجه الترمذيُّ (3333)، وأحمدُ (4806).

صحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3333)، وجوَّده ابنُ حجر في ((فتح الباري)) (564/8)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (96/8)، وحسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((مسند أحمد)) (424/8).

وعن أبي رافعٍ، قال: ((صلَّيتُ مع أبي هُريرةَ العَتمةَ، فقرَأَ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ فسجَدَ، فقُلتُ له.[117] قال: سجَدْتُ خَلْفَ أبي القاسِمِ - ﷺ -، فلا أزالُ أسجُدُ فيها حتَّى ألقاه)).[118]

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سَجَدْنا مع النَّبِيِّ - ﷺ - في إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ واقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)).[119]

فضائل السورة وخصائصها:

1- مَن قَرَأها فكأنَّه يَنظُرُ إلى يومِ القيامةِ رأيَ العَينِ:

كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما المتقدِّمِ.

2- فيها مَوضِعُ سَجْدةٍ:

لِما تقدَّمَ في حديثِ أبي هُريرةَ، وذلك عندَ قولِه تعالى: فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ.[120]

---

(117) وفي روايةِ مسلم: ((فقُلتُ: تَسجُدُ فيها؟ فقالَ: نَعَمْ)).
(118) أخرجه البخاريُّ (766) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (578).
(119) أخرجه مسلم (578) (108).
(120) وهذا مذهبُ الجمهورِ مِن الحنفيَّةِ والشَّافعيَّةِ والحنابلةِ، وهو روايةٌ عن مالكٍ، واختاره ابنُ حزم.
يُنظر: ((حاشية ابن عابدين)) (104/2)، ((المجموع)) للنووي (59/4)، ((الإقناع)) للحَجَّاوي (155/1)، ((شرح مختصر خليل)) للخرَشي (350/1)، ((المحلى)) لابن حزم (3/ 322).

سورةُ الانشِقاقِ مَكِّيَّةٌ، نقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.[121]

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

وصفُ يومِ القيامةِ، وأحوالِ النَّاسِ فيه.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- ذِكرُ أهوالِ يومِ القيامةِ.

2- الحديثُ عن أحوالِ السُّعَداءِ والأشقياءِ يومَ القيامةِ.

3- تحذيرُ الكافِرينَ مِن سُوءِ عاقِبةِ إصرارِهم على كُفْرِهم وفُسوقِهم.

---

(121) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: الماوَرْديُّ، وابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيِّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (6/233)، ((تفسير ابن عطية)) (5/427)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/419)، ((تفسير القرطبي)) (19/269)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (3/171).

قال ابنُ عطية (٨/ ٥٦٧): «وهي مكّيّة بلا خلاف بين المتأولين».

سورةُ الانشِقاقِ

الآيات (1–6)

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتْ (4) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ
(6)

غريب الكلمات:

وَأَذِنَتْ: أي: سَمِعَت وأطاعت؛ مِنَ الأَذَنِ، وهو الاستِماعُ للشَّيءِ، والإصغاءُ إليه.

وَحُقَّتْ: أي: وحُقَّ لها أن تُطيعَ رَبَّها؛ مِن قَولِهم: هو محقوقٌ بكذا وحقيقٌ به، وأصلُ (حقق): يدُلُّ على إحكامِ الشَّيءِ وصِحَّتِه.

مُدَّتْ: أي: بُسِطَت باندِكاكِ جِبالِها وتَسويتِها، وأصلُ (مدد): يدُلُّ على اتِّصالِ شَيءٍ بشَيءٍ.

وَتَخَلَّتْ: أي: خلَتْ عمَّا كان فيها غايةَ الخُلُوِّ، ولم تَتمسَّكْ منه بشَيءٍ، حتَّى لم يَبْقَ في باطِنِها شيءٌ، وأصلُ (خلو): يدُلُّ على تَعَرِّي الشَّيءِ مِن الشَّيءِ.

كَادِحٌ: أي: ساعٍ بعَمَلِك، والكادِحُ: العامِلُ بشِدَّةٍ وسُرعةٍ واجتهادٍ، والكَدْحُ: عَمَلُ الإنسانِ وجُهدُه في الأمرِ مِن الخَيرِ والشَّرِّ حتَّى يَكدَحَ ذلك فيه، أي: يُؤَثِّرَ، وأصلُ (كدح): يدُلُّ على تأثيرٍ في شيءٍ.

تفسير الآيات:

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1).

أي: إذا تَشَقَّقت السَّماءُ يومَ القيامةِ وتصَدَّعَت.(122)

كما قال تعالى: وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ [الحاقة: 16].

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2).

أي: واستمَعَت لأمرِ رَبِّها وأطاعَتْه في تشَقُّقِها، وحُقَّ لها أن تستَمِعَ لأمْرِه وتُطيعَه؛ فهو رَبُّها الَّذي خلَقَها ويَملِكُها ويُدَبِّرُ أَمْرَها.

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3).

أي: وإذا بُسِطَت الأرضُ يومَ القيامةِ ومُطَّتَ بعْدَ نَسْفِ جِبالِها، فتكونُ أرضًا واسِعةً مُسْتَوِيةً لا انخِفاضَ فيها ولا ارتِفاعَ ولا انثِناءَ، وتَسَعُ النَّاسَ جَميعًا على كَثْرَتِهم.

كما قال تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ [إبراهيم: 48].

---

(122) قال ابنُ عطية (٨/ ٥٦٧): «وانشقاق السماء: هو تفطّرها لهول يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقال الفراء والزَّجّاج وغيرهما: هو تشقّقها بالغمام. وقال قوم: تشقّقها: تفتُّحها أبوابًا لِنزول الملائكة وصعودهم في هول يوم القيامة».

وقال سبحانه: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: 105 – 107].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((يَجمَعُ اللهُ يومَ القيامةِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صعيدٍ واحدٍ، فيُسمِعُهم الدَّاعي، ويَنفُذُهم البَصَرُ)).[123]

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (4).

أي: وألقَتِ الأرضُ ما في بَطْنِها مِن الأمواتِ إلى سَطْحِها، فخلَتْ عمَّا كان فيها، ولم يَبْقَ فيها أحدٌ منهم.

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5).

أي: واستَمَعَت لأمرِ ربِّها، وأطاعَتْه في إخراجِ ما في بَطْنِها من الأمواتِ، وحُقَّ لها أن تستَمِعَ لأمْرِه وتُطيعَه؛ فهو ربُّها الَّذي خلَقَها ويَملِكُها ويُدَبِّرُ أمْرَها.

---

(123) أي: يُحيطُ بهم بَصَرُ النَّاظِرِ لا يَخفى عليه منهم شَيءٌ؛ لاستواءِ الأرضِ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (5/351).
رواه البخاريُّ (4712)، ومسلمٌ (194) واللَّفظُ له.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6).

أي: يا أيُّها الإنسانُ إنَّك عامِلٌ أعمالًا تجتَهِدُ فيها سواءٌ كانت خيرًا أو شرًّا، ثمَّ تَرجِعُ إلى رَبِّك فتَلْقَاه بعَمَلِك ويُجازيك عليه.(124)

كما قال تعالى: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [الغاشية: 25–26].

وقال سبحانه: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ [آل عمران: 30].

---

(124) في عود الضمير من قوله: ﴿فملاقيه﴾ قولان: الأول: أنه عائد على الرّبّ.

الثاني: أنه عائد على العمل والكدح.

وقد علّق ابنُ عطية (٨/ ٥٦٩) على الأول، فقال: فالفاء على هذا عاطفة ﴿ملاق﴾ على كادح «.

وعلّق على الثاني، فقال:» فالفاء على هذا عاطفة جملة على التي قبلها، والتقدير: فأنت ملاقيه، والمعنى: ملاقٍ جزاءه خيرًا كان أو شرًّا".

وعلّق ابنُ كثير (١٤/ ٢٩٣ بتصرف) على الأول، فقال: «ومن الناس مَن يعيد الضمير على قوله: ﴿ربك﴾، أي: فملاقٍ ربّك، ومعناه: فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك.

وعلى هذا فكلا القولين متلازم».

وعلّق على الثاني، فقال: «ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي...

عن جابر، قال: قال رسول الله – ﷺ –: «قال جبريل: يا محمد، عِشْ ما شئتَ فإنك ميت، وأَحبِب ما شئتَ فإنك مفارقه، واعمل ما شئتَ فإنك ملاقيه»».

سورةُ الانشِقاقِ

الآيات (7–15)

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا
(9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا (12)
إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15)

غريب الكلمات:

ثُبُورًا: أي: هَلاكًا، والثُّبُورُ: الهَلاكُ والفَسادُ، وأصلُ (ثبر): يدُلُّ على هَلاكٍ.

وَيَصْلَى سَعِيرًا: أي: يَدخُلُ النَّارَ، ويذُوقُ حَرَّها، والصَّلَى أصلُه: الإيقادُ بالنَّارِ، وأصلُ (صلى) هنا: النَّارُ، وأصلُ (سعر): يَدُلُّ على اشتعالِ الشَّيءِ واتِّقادِه وارتِفاعِه.

يَحُورَ: أي: يَرجِعَ ويُبعَثَ، وأصلُ (حور) هنا: يدُلُّ على رُجوعٍ.

تفسير الآيات:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7).

أي: فأمَّا المؤمنُ الَّذي يُعطَى كِتابَ أعمالِه، فيَتَسلَّمُه بيَدِه اليُمْنى.

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8).

أي: فسوف يُحاسَبُ يومَ القيامةِ حِسابًا سَهْلًا، فتُعرَضُ عليه سَيِّئاتُه المكتوبةُ بلا مناقَشةٍ وتدقيقٍ وإطالةٍ، ولا يُؤاخَذُ بها.

كما قال تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا [الإسراء: 71].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ. فقُلْتُ: أوَلَيس يقولُ اللهُ تعالى: فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا؟! فقال: إنَّما ذلكِ العَرضُ، ولكِنْ مَن نُوقِشَ[125] الحِسابَ يَهلِكْ)).[126]

---

(125) نُوقِشَ: استُقصِيَ عليه.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (208/17).

(126) رواه البخاريُّ (103) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2876).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: سَمِعتُ رَسولَ الله - ﷺ - يقولُ: ((إنَّ اللهَ يُدْنِي المؤمنَ فيَضَعُ عليه كَنَفَه ويَستُرُه، فيقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كذا؟ أتعرِفُ ذَنْبَ كذا؟ فيقولُ: نَعَمْ، أيْ رَبِّ! حتَّى إذا قَرَّره بذُنُوبِه، ورأى في نَفْسِه أنَّه هَلَك، قال: سَتَرْتُها عليك في الدُّنيا، وأنا أغفِرُها لك اليَومَ، فيُعطَى كِتابَ حَسَناتِه)).(127)

وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9).

أي: ويَنصَرِفُ إلى أهلِه في الجَنَّةِ مَسرورًا بنَجاتِه مِن الجَحِيم، وبما أعطاه اللهُ مِن النَّعيم العَظيم.

كما قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة: 19 - 24].

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10).

أي: وأمَّا الكافِرُ الَّذي يُعطَى كِتابَ أعمالِه، فيَتسَلَّمُه بشِمالِه مِن خَلْفِ ظَهْرِه.

كما قال تعالى: وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ [الحاقة: 25 - 29].

---

(127) رواه البخاريُّ (2441) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2768).

فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11).

أي: فسوف يُنادي على نَفْسِه بالهَلاكِ والخُسْرانِ؛ نَدامةً وحَسرةً مِمَّا يَرى في كتابِه من السَّيِّئاتِ.

كما قال تعالى: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا [الكهف: 49].

وَيَصْلَى سَعِيرًا (12).

أي: ويَنغَمِسُ في النَّارِ المُلتَهِبةِ الشَّديدةِ التَّوَقُّدِ، فيَحترِقُ فيها.

كما قال تعالى: وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ [النساء: 55-56].

إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13).

أي: إنَّه كان في الدُّنيا مسرورًا في أهلِه باتِّباعِ هَواه، ورُكوبِ شهوتِه، واقترافِ المعاصي، فَرِحًا بدُنْياه، لا يُفكِّرُ في عاقِبةِ أعمالِه، ولا يَخافُ عَذابَ الآخِرةِ.

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14).

أي: إنَّ هذا الكافِرَ قد ظَنَّ في الدُّنيا أنَّه لن يَرجِعَ إلى رَبِّه بعْدَ موتِه؛ لِيُحاسِبَه ويُجازِيَه على أعمالِه، فلَمْ يَكُنْ يَخشَى عِقابًا أو يَرجو ثَوابًا.

كما قال تعالى: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [الجاثية: 24].

بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15).

أي: ليس الأمرُ كما يَظُنُّه هذا المكَذِّبُ بالبَعْثِ؛ فإنَّه سيُبعَثُ حَيًّا بعدَ مَوتِه، واللهُ بصيرٌ به ومُطَّلِعٌ على أعمالِه، فلا يخفى عليه كُفْرُه أو عِصيانُه، وسيُجازيه على ذلك.

سورةُ الانشِقاقِ

الآيات (16-25)

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (21) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25)

غريب الكلمات:

بِالشَّفَقِ: أي: الحُمْرةِ الَّتي تكونُ عندَ مَغِيبِ الشَّمسِ، وسُمِّي بذلك لرِقَّتِه، وأصلُ (شفق): يدُلُّ على رِقَّةٍ في الشَّيءِ.

وَسَقَ: أي: جَمَع وضَمَّ، والوَسْقُ: جَمعُ المتفرِّقِ، وضَمُّك الشَّيءَ بَعضَه إلى بعضٍ.

اتَّسَقَ: أي: اجتمَعَ، واستوَى، وتَمَّ نُورُه، وهو افتعَل مِنَ الوَسْقِ: الَّذي هو الجَمعُ.

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ: المرادُ بالرُّكوبِ: المُلاقاةُ، والطَّبَقُ: ما طابَق غيرَه. يُقالُ: هذا طَبَقٌ لهذا: إذا طابَقه، والمعنى: لَتُلاقُنَّ حالًا كائنةً بعدَ حالٍ، كُلُّ واحدةٍ مُطابِقةٌ للأخرَى، أو: يكونُ الطَّبَقُ جمعَ طَبَقةٍ، وهي المرتبةُ، والمعنى: لَتَرْكَبُنَّ أحوالًا بعدَ أحوالٍ هي طبقاتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، وأصلُ (ركب): عُلُوُّ شَيءٍ شيئًا، وأصلُ (طبق): يدُلُّ على وَضعِ شَيءٍ مَبسوطٍ على مِثْلِه حتَّى يُغَطِّيَه.

يُوعُونَ: أي: يَكتُمونَ ويَجمَعونَ في صُدورِهم مِنَ الكُفرِ والتَّكذيبِ، وأصلُ (وعي): يدُلُّ على ضَمِّ شَيءٍ.

مَمْنُونٍ: أي: مَقطوعٍ أو مَنقوصٍ، وأصلُ (منن) هنا: يدُلُّ على قَطْعٍ.

تفسير الآيات:

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16).

أي: فأُقسِمُ بالحُمْرةِ الَّتي تَلُوحُ في الأُفُقِ بَعْدَ غُروبِ الشَّمسِ.(128)

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17).

أي: وأُقسِمُ باللَّيلِ وما جَمَع وضمَّ فيه مِن مَخلوقاتٍ.

---

(128) اختُلف في معنى الشَّفَق على قولين: الأول: أنه الحُمرة.

الثاني: أنه البياض أو النهار.

وقد زاد ابنُ جرير (٢٤/ ٢٤٤) قولًا ثالثًا لم ينسبه: أنه من الأضداد، وهو اسم للحُمرة والبياض.

وقد رجّح ابنُ جرير القول الثاني، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال: إنّ الله أقسم بالنهار مُدبرًا، والليل مُقبلًا.

وأمّا الشَّفَق الذي تحلّ به صلاة العشاء، فإنه للحُمرة عندنا؛ للعلّة التي قد بيناها في كتابنا كتاب الصلاة».

ورجّح ابنُ عطية (٨/ ٥٧٢) أنّ الشَّفق هو: «الحُمرة التي تعقب غيبوبة الشمس مع البياض التابع لها في الأغلب».

ثم انتقد قول مَن قال: إنها النهار كلّه.

بقوله: «وهذا قول ضعيف».

وقال ابنُ كثير (١٤/ ٢٩٦): «فالشَّفَق هو: حُمرة الأُفُق إمّا قبل طلوع الشمس -كما قاله مجاهد- وإمّا بعد غروبها -كما هو معروف عند أهل اللغة-.

قال الخليل بن أحمد: الشَّفَق: الحُمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة.

فإذا ذهب قيل: غاب الشَّفَق.

وقال الجوهري: الشَّفَق: بقية ضوء الشمس وحُمرتها في أول الليل إلى قريب من العَتمة.

وكذا قال عكرمة: الشَّفَق: الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «وقتُ المغرب ما لم يغب الشَّفَق»».

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18).

أي: وأُقسِمُ بالقَمَرِ إذا تمَّ واكتَمَل فصار بَدْرًا مُنيرًا.

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19).

أي: لَتَرْكَبُنَّ –أيُّها النَّاسُ– حالًا بَعْدَ حالٍ.(129)

(129) قيل: المعنى: لَتَرَكَبُنَّ –أيُّها النَّاسُ– ممَّا تَلْقَونَ مِن شدائِدِ القيامةِ وأهوالِها أحوالًا.

ومِمَّن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ جرير، واستظهره ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (256/24)، ((تفسير ابن عاشور)) (229/30).

ويُنظر أيضًا: ((تتمة أضواء البيان)) لعطية سالم (473/8).

وقيل: المعنى: لَتَرَكَبُنَّ حالًا بعدَ حالٍ حتَّى يَصيروا إلى الله تعالى، مِن إحياءٍ، وإماتةٍ، وبعثٍ.

وممَّن اختاره: الزَّجَّاجُ، والسَّمَرْقَنْديُّ.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (305/5)، ((تفسير السمرقندي)) (562/3).

وقريبٌ منه قولُ مَن قال: لَتَرَكَبُنَّ الشَّدائِدَ: الموتَ والبعثَ والحسابَ حالًا بعدَ حالٍ.

وممَّن اختاره: الثعالبيُّ، والعُلَيمي.

يُنظر: ((تفسير الثعالبي)) (569/5)، ((تفسير العليمي)) (324/7).

وقيل: المعنى: لَتَكونُنَّ نُطفةً، ثمَّ عَلَقةً، ثمَّ مُضغةً، ثمَّ تُنفَخُ الرُّوحُ، فتَحيَونَ إلى أن تموتوا، ثمَّ تُبعَثونَ، ثمَّ تُحاسَبونَ، ثمَّ تَصيرون إلى الجنَّةِ أو النَّارِ.

ومِمَّن ذهب في الجملةِ إلى هذا المعنى: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، والواحديُّ، والسمعانيُّ، وابنُ القيِّم، والسعديُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (640/4)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 1188)، ((تفسير السمعاني)) (192/6)، ((تحفة المودود بأحكام المولود)) لابن القيم (ص: 289)، ((تفسير السعدي)) (ص: 917).

وقال ابنُ كثيرٍ: (قال الحسنُ البصري: طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ يقولُ: حالًا بعدَ حالٍ، رخاءً بعدَ شِدَّةٍ، وشدةً بعدَ رخاءٍ، وغنًى بعدَ فقرٍ، وفقرًا بعدَ غنًى، وصحةً بعدَ سقمٍ، وسقمًا بعدَ صحَّةٍ).

((تفسير ابن كثير)) (361/8).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: لَتَرْكَبَنَّ بفَتحِ الباءِ، على خِطابِ الواحِدِ؛ قيل: المرادُ: النَّبيُّ - ﷺ -، والمعنى: لتَرْكَبَنَّ -يا محمَّدُ- طَبَقًا مِن أطباقِ السَّماءِ بَعْدَ طَبَقٍ، ولَتَرتَقِيَنَّ حالًا بعدَ حالٍ. وقيل: يَذكُرُ حالاتِ النَّبيِّ - ﷺ - مِن يومِ أُوحِيَ إليه إلى يومِ قَبَضه اللهُ. أو أنَّه خِطابُ الإنسانِ المتقدِّمِ الذِّكرِ في قَولِه: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ [الانشقاق: 6].(130)

2- قراءة لَتَرْكَبُنَّ بضَمِّ الباءِ على خِطابِ الجَمعِ.(131)

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20).

أي: فما الَّذي يَمنَعُ الكافِرينَ إذَنْ مِنَ الإيمانِ بالآخِرةِ، والإقرارِ بالبَعْثِ بعدَ المَوتِ، واللهُ هو المتصَرِّفُ في الكَونِ كيف يَشاءُ، وقد ظهَرت لهم دلائِلُ الحَقِّ، وقامت عليهم حُجَجُه البَيِّنةُ؟!

---

(130) قرأ بها ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وخلَفٌ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (399/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 367)، ((معاني القراءات)) للأزهري (134/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 756)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (737/10).

(131) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (399/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 367)، ((معاني القراءات)) للأزهري (134/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 756)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (737/10).

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (21).

أي: وما لَهم إذا قُرِئَ عليهم القُرآنُ لا يَسجُدونَ لله تَعظيمًا وخُضوعًا له؟![132]

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22).

أي: لا يُوجَدُ ما يَمنَعُهم مِن الإيمانِ والسُّجودِ؛ فدلائِلُ الحَقِّ واضِحةٌ ومُتوفِّرةٌ، وإنَّما مِن سَجِيَّةِ الَّذين كَفَروا وعادتِهم المُستَمِرَّةِ: التَّكذيبُ بالقُرآنِ، والبَعثِ، والجنَّةِ والنَّارِ؛ عِنادًا أو كِبْرًا منهم دونَ حُجَّةٍ وعُذرٍ!

كما قال تعالى: بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ [الروم: 29].

وقال سبحانه: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ [البروج: 19].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23).

أي: واللهُ أعلَمُ بما يَجمَعُه الكافِرونَ في صُدورِهم مِنَ التَّكذيبِ والآثامِ.

(132) نقل ابنُ تيمية (٦/ ٤٩٠) في قوله: ﴿لا يسجدون﴾ قولين: أحدهما: ما جاء في قول مقاتل.
الثاني: أنّ معناه: لا يخضعون له، ولا يستكينون له.
وعلّق على الأول بقوله: «القول الأول هو الذي يذكره كثير من المفسرين، لا يذكرون غيره؛ كالثعلبي، والبغوي، وحكوه عن مقاتل والكلبي، وهو المنقول عن مفسري السلف، وعليه عامة العلماء».
وعلّق على الثاني بقوله: «وأما القول الثاني فما علمتُ أحدًا نقله عن أحد من السلف، والذين قالوه إنما قالوه لما رأوا أنه لا يجب على كلّ من سمع شيئًا من القرآن أن يسجد، فأرادوا أن يُفسِّروا الآية بمعنى يجب في كلّ حال، فقالوا: يخضعون، ويستكينون. فإنّ هذا يؤمر به كلّ مَن قُرئ عليه القرآن».

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24).

أي: فبشِّرْ –يا محمَّدُ– أولئك الكافِرينَ بعَذابٍ مُوجِعٍ في غايةِ الإيلامِ.

كما قال تعالى: فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ [الطور: 11 – 14].

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25).

أي: إلَّا الَّذين تابُوا منهم فآمَنوا بكُلِّ ما وَجَب عليهم الإيمانُ به، وأطاعوا اللهَ تعالى، فامتَثَلوا أمْرَه واجتَنَبوا نَهْيَه؛ فأولئك لهم في الآخِرةِ أجرٌ كامِلٌ غَيرُ مَنقوصٍ، ودائِمٌ غيرُ مقطوعٍ.(133)

(133) قال ابنُ تيميَّةَ: (قال عامَّةُ المفَسِّرينَ: غيرُ مَقطوعٍ ولا منقوصٍ...

وقد شَذَّ بعضُ النَّاسِ فقال: غيرُ مَمْنونٍ عليهم...

وهذا القولُ مع مُخالَفتِه لأقوالِ السَّـــلَفِ والجُمهورِ هو خطأٌ؛ لوُجوهٍ: أحَدُها: أنَّ اللهَ يَمُنُّ علينا بكُلِّ نِعمةٍ أنعَمَ بها علينا، حتَّى بالإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ؛ قال تعالى: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [الحجرات: 17]...).

((الرد على من قال بفناء الجنة والنار)) (ص: 84، 85).

وقال ابن كثير: (وقال بعضُهم: غَيْرَ مَمْنُونٍ عليهم.

وهذا القولُ...

قد أنكره غيرُ واحدٍ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ له المِنَّةُ على أهلِ الجنَّةِ في كلِّ حالٍ وآنٍ ولَحظةٍ، وإنَّما دخَلوها بفضلِه ورحمتِه، لا بأعمالِهم، فله عليهم المِنَّةُ دائمًا سَرْمَدًا، والحمدُ لله وحْدَه أبدًا؛ ولهذا يُلْهَمونَ تسبيحَه وتحميدَه كما يُلهَمونَ النَّفَسَ: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [يونس: 10]).

((تفسير ابن كثير)) (362/8).

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ الثَّاني والأربعونَ

ويَليه المجلَّدُ الثَّالثُ والأربعونَ، وأوَّله: تفسير سُورة البُرُوجِ

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

المغني في التفسير

المُحرّرُ الجامعُ لِتفاسِيرِ السّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا